وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministry of higher education and scientific research
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي - تبسة
Echahid Cheikh Larbi Tebessi University- Te ssa
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
faculty of humanities and social sciences

قسم علم الاجتماع

تخصص: أنثربولوجيا ثقافية واجتماعية

مذكرة ماسترتحت عنوان

الطقوس الجنائزية بين الثبات والتحول في المجتمع التبسي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر L.M.D

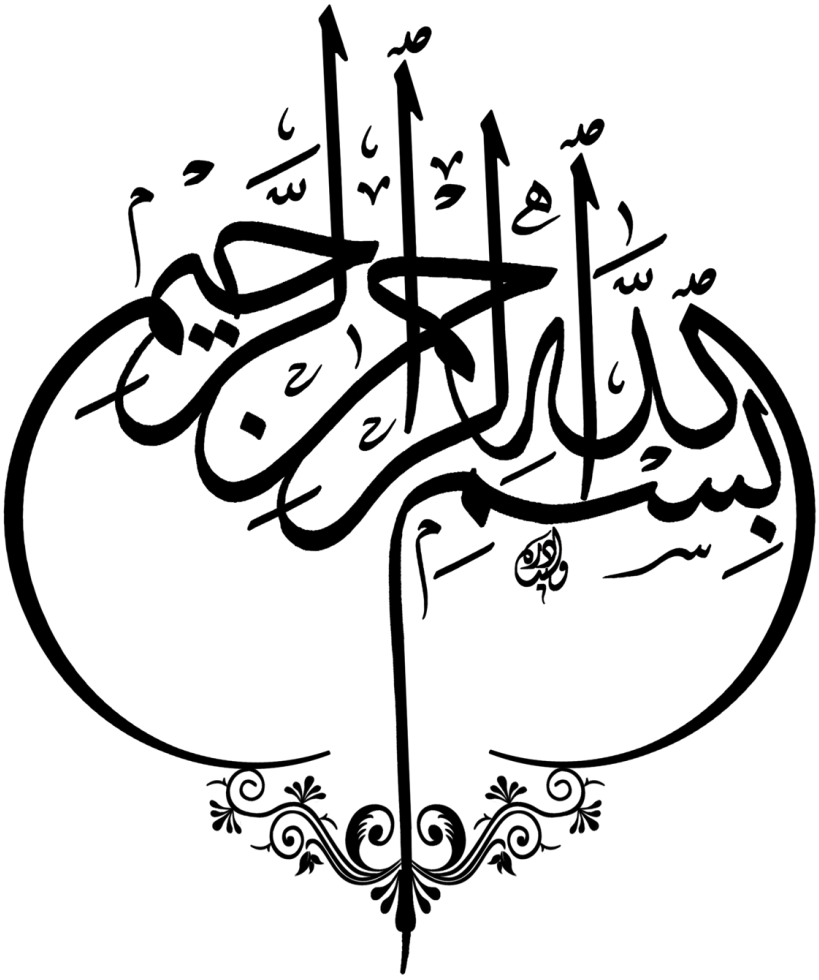
إعداد الطالبة:
بـــلقيـــس منـــــاس

إشراف الأستاذ:
الدكتورة وسيلة بروقي

أعضاء لجنة المناقشة:

اللقب والاسم	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفـــة
نور الدين جفال	أستاذ تعليم عالي	جامعة العربي التبسي	رئيســـا
وسيلـــة بـــــروقي	أستاذ محاضر	جامعة العربي التبسي	مشرفا ومقررا
رياض شاوي	أستاذ محاضر	جامعة العربي التبسي	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2024-2025



بسم الله الكريم التواب العظيم الوهاب غافر الذنب لمن تاب رافع السماء بلا عمد و باسط الارض على ماء جمد واحد احد فرد صمد خالق الخلق و احصاهم عدد و الصلاة و السلام على الحبيب المهداة سيدنا المصطفى الامين رسولنا الكريم نبينا و حبيبنا محمد صلى الله عليه و سلم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبتوفيقه تُدرك الغايات.

أتقدّم بأسمى آيات الشكر والعرفان إلى كل من مدّ لي يد العون ووقف إلى جانبي خلال إنجاز هذه المذكرة، علمًا، وتوجيهًا، وتشجيعًا.

أخصّ بالشكر أستاذتي ومشرفتي وسيلة بروقي، التي كانت خير موجّه وسند، بما قدمته لي من دعم علمي ومعنوي، وما أبدته من صبر وحرص على توجيهي نحو الدقة والصرامة البحثية، فكان لثقتها وتشجيعها الأثر البالغ في استكمال هذا العمل.

كما أتقدّم بخالص التقدير والاحترام إلى الأستاذ نور الدين جفال، رئيس اللجنة، لما أولاني إياه من اهتمام ومتابعة، ولما لمسته فيه من روح أكاديمية راقية ومساندة محفّزة.

وأنحني بامتنان عميق أمام الأستاذ الفاضل شاوي رياض، الذي لم يكن مجرد ممتحن، بل كان ركيزة حقيقية في هذا المشروع، إذ كان لدعمه وتفهّمه وملاحظاته الدقيقة الدور الحاسم في إعادة بعث الثقة بداخلي ومواصلة هذا العمل رغم العثرات.

ولا يسعني أيضًا إلا أن أعبر عن خالص امتناني للأستاذة لبني فتيحة، التي كانت بعلمها وطيبتها مصدر دعم نفسي وعلمي، فقد كانت دائمًا تستقبلني بصدر رحب كلما قصدتها من أجل استشارة أو توجيه، ولم تتردد يومًا في تقديم يد العون متى احتجت، بل كانت تسألني باستمرار عن مدى تقدّمي في المذكرة، وتحرص على متابعتي وتشجيعي، فكانت بحق إحدى الدعامات الأساسية التي خففت عني عناء هذه الرحلة العلمية.

كما أرفع أسمى عبارات الشكر والتقدير إلى كافة أساتذة قسم الأنثروبولوجيا بجامعة عبد المجيد بولحاف الدير – تبسة، على ما قدّموه لنا من علم وتكوين، وما غرّسوه فينا من أدوات معرفية وبحثية كان لها الفضل في رسم معالم هذا العمل.

إهـــداء

إلى من غاب عن الدنيا، لكنه باقٍ في القلب والذاكرة...

إلى من علّمني معنى الصبر قبل أن أفهمه، ومنحني حبًّا ما زلت أستند عليه حتى بعد رحيله...

إلى روح أبي الطاهرة، رحمةً وسلامًا وسكينة، ودعاءً لا ينقطع... هذا العمل غصن من شجرة غرسها يداك.

إلى أمي الحبيبة، السند الحقيقي الذي لا يميل... التي ما بخلت يومًا بعطاء أو دعاء، فكنتِ ضوء الدرب في عتمات الإرهاق، وصوت الأمل حين يسكن الصمت.

وإليكِ من جديد، يا أمي...

أكتب لك سطرًا بعد سطر، لأن الكلمات لا تكفي... لو جُمعت حروف اللغة كلها ما أوفتك حقك... كنتِ الحياة حين ضاقت، والعزاء حين أثقلتني الدموع، واليقين حين غاب الأمل.

إلى أخي ربيع، الأخ الأكبر وركن الأمان... الذي كان حنانه صامتًا لكن حضوره عميقًا، دعمه الصادق ومحبته الدافئة ظلا سندًا خفيًّا في كل خطوة من خطوات هذا المشوار.

إلى أختي دوجة، القلب الكبير والحضن الدافئ، التي كانت سندًا ماديًا ومعنويًا لا يُعوّض، فبكرمها وحنانها وتفانيها استطعت أن أواصل.

وإلى أختي بثينة، التي رافقتني بمحبة لا توصف، ووقفت بجانبي بكل ما أوتيت من دعم، فكانت لي عزاءً وسندًا، ودعامة لا تقدر بثمن.

إلى صديقتي الوفية خلود حباب، التي لم تخذلني يومًا، وكانت دائمًا هناك حين أحتاج، بالسؤال، بالكلمة، بالفعل... كنتِ لي أكثر من صديقة، كنتِ أختًا حقيقية.

إلى ابني الصغير، الذي منحني رغم صغر سنّه طاقةً من نوع آخر... حضورك حولي كان ملاذًا، وابتسامتك كانت النور الذي خفّف عني مشقّة الأيام.

وأخيرًا...

إلى نفسي، التي تعثّرت ولم تستسلم، وبكت ثم نهضت، وسارت رغم التعب...

أهديك هذا العمل عرفانًا بصبرك وإصرارك... لقد فعلتِها أخيرًا!


مقـدمـــة

منذ الأزل، شكل الموت لحظة فاصلة في مسار حياة الإنسان ليس باعتباره، نهاية بيولوجية، بل بوصفه ظاهرة اجتماعية وثقافية ذات حمولة رمزية عميقة. لم ينظر إلى الموت يوما على أنه اختفاء بسيط، بل نسجت حوله طقوس وأساطير وممارسات تعكس تصورات المجتمع وخوفها من المجهول وسعيها لخلق معنى لا يفسر عقلا. إذ أن كل مجتمع مهما بلغ من بساطة أو تعقيد يحيط الموت بسياج من طقوس والشعائر التي تمنع له إطار تفسيريا ومعنويا يتجاوز طبيعته الفيزيائية في مختلف الثقافات، تمارس الطقوس الجنائزية كوسيلة لتأطير هذا الحدث الفاجع ولتقديم إجابات جماعية حول المصير والروح، والعلاقة بين الحياة والموت. فهي ليست مجرد مراسيم لتوديع جسد ميت بل تعد لحظة رمزية يتجلى فيها النظام الاجتماعي. وتعاد فيها صياغة العلاقات ويعبر من خلالها عن الانتماء والهوية والروح الجمعية هذه الطقوس تمثل في جوهرها لحظة من **" إعادة التوازن"** الرمزي للجماعة حيث يتم الانتقال من حالة اضطراب عاطفي واجتماعي إلى حالة من التنظيم والتماسك عبر أفعال وممارسات جماعية ذات طابع مقدس.

وفي السياق المغاربي عموما والمجتمع الجزائري خصوصا. تمارس الطقوس الجنائزية بوصفها طقوسا انتقالية تخرج الفرد من عالم الأحياء إلى حالة الأموات وتعيد ترتيب التوازن الرمزي داخل الجماعة هذه الطقوس. وان اتخذت طابعا دينيا اسلاميا في ظاهرها. فإنها محملة بعد ثقافي محلي نابع من ترسبات تاريخيه وتقاليد متجذرة فتراكمات العادات والتقاليد في المجتمعات المحلية تضفي على الطقس بعدا هوياتيا خاصا. حيث يتقاطع الديني بالاجتماعي ويتشابك المقدس بالموروث الشعبي.

وإذا كان الطقس بطبيعته يمارس في اطار جماعي منظم، فإنه لا يخلو من تحول فالطقوس ليست معطيات جامدة، بل هي كائنات حية تتطور بتطور المجتمعات، ترتبط هذه التحولات بتغير البنى الاقتصادية، والانفتاح على وسائل الاعلام والهجرة والتعليم والاحتكاك بثقافات هذه البنية الوطنية، يعيش الإنسان بدوره تحولات اجتماعية وثقافية متعددة، انعكست

بشكل أو بآخر على طقوسه الجنائزية، سواء على مستوى الشكل أو المضمون، لقد بدأت ملامح هذا التحول تتجلى في تراجع بعض الممارسات وظهور ممارسات جديدة وتغير تمثلات الأفراد للجماعة والموت والدين. فالطقوس الجنائزية تعد لحظة من التوتر والتلاحم الجماعي، تكشف من خلالها الجماعة من بنيتها الرمزية، وتعيد ترتيب علاقتها بالمقدس، وبالزمن والهوية وهي لحظة تتحول فيها الجنازة من فعل فردي إلى حدث جماعي بامتياز تتحرك فيه الذاكرة. ويستدعي فيه المشترك الثقافي، وتمارس فيه الجماعة نوعا من "إعادة إنتاج الذات" ولأن الموت لا يعاش مرة واحدة. بل يستعاد ويعاد تمثله جماعيا عبر الطقس. فإن دراسة هذه الممارسات تمثل مدخلا لفهم الديناميكيات الاجتماعية والثقافية التي تميز مجتمعا محليا كالمجتمع التبسي، في ظل التحولات التي تعرفها البنى التقليدية في زمن الحداثة والتغير.

ان الاهتمام بالطقوس الجنائزية لا ينبع من خصوصية الموت في حد ذاته، بل من الغنى الأنثروبولوجي الذي تحمله هذه الممارسات، حيث تعتبر مرآة حقيقية للبنية الاجتماعية والتصورات الجماعية، وانماط التفاعل داخل المجتمعات، ومن هذا المنظور، فإن دراسة هذه الطقوس تتيح فهما عميقا لكيفية تشكل المعنى داخل الجماعة وكيفية إدارتها للحداد، والغياب والانفصال، بل وحتى إعادة الاندماج.

الفصل الأول:

المقاربة المفاهيمية والمنهجية

1-التعريف بالموضوع

2-دوافع إختيار الموضوع

3-الدراسات السابقة

4-الإشكالية

5-أهداف الدراسة

6-أهمية الدراسة

7-معوقات الدراسة

8-تحديد المفاهيم

9-فضاءات الدراسة

9-1 الفضاء المكاني

9-2 الفضاء الزماني

10- المقاربة المنهجية

10-1 المنهج الوصفي التحليلي

10-2 مجتمع البحث (العينة)

10-3 أدوات جمع البيانات

10-3-1 ملاحظة بالمعالجة

10-3-2 الاخباريون

10-3-3 المقابلة

1-التعريف بالموضوع:

تعد الطقوس الجنائزية من بين أبرز الطقوس الاجتماعية التي تعكس رؤية المجتمعات للوجود، والموت والانتقال من عالم الأحياء إلى عالم الغيب، فهي ليست مجرد ممارسات دينية شعائرية، بل تمثل بنية رمزية محملة بالدلالات الثقافية والاجتماعية التي تتجاوز لحظة الفقد لتعبر عن تصور جماعي متجذر حول الحياة والموت والارتباط بالمقدس، وفي المجتمع التبسي، كما في سائر المجتمعات المحلية، لا تزال الطقوس الجنائزية تمارس بوتيرة منتظمة، محافظة في كثير من جوانبها على طابعها التقليدي، ومظهرة في الوقت نفسه بوادر تحول ملموس في بعض ممارستها ودلالاتها، نتيجة لتغير السياقات الاجتماعية الاقتصادية والتكنولوجية، ومن هذا المنطلق تكتسي دراسة الطقوس الجنائزية في هذا المجتمع أهمية أنثربولوجية مزدوجة من جهة باعتبارها شكلا من أشكال التنظيم الثقافي والاجتماعي، ومن جهة أخرى باعتبارها مرآة للتحولات البنيوية التي يعرفها المجتمع التبسي في ظل التغيرات الراهنة.

ولعل ما يميز الطقوس الجنائزية في هذا السياق هو التداخل بين الثابت والمتغير حيث تتجاوز طقوس الدينية المستقرة مع ممارسات رمزية محلية تعبر عن هوية جماعية مخصوصة و تعاد صياغتها أحيانا بفعل الحداثة الهجرة، التعليم ووسائل الإعلام، لذا فإن تناول هذا الطقوس من منظور أنثروبولوجي يتيح إمكانية فهم الانسان الثقافية الكامنة خلفها، والكشف عن آليات الاستمرارية والتغيير في المجتمع المحلي.

2-دوافع اختيار الموضوع:

جاء اختيار موضوع الطقوس الجنائزية بين الثبات والتحول في المجتمع التبسي نتيجة لعدة اعتبارات علمية وميدانية وشخصية، وعلى المستوى العلمي لاحظنا وجود ندره واضحة في الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت الطقوس الجنائزية في السياق المحلي رغم ما تحمله هذه الطقوس من غنى رمزي واجتماعي وثقافي، كما أن أغلب الدراسات السابقة، ركزت على

وصف الطقس ومظاهره العامة، دون التعمق في ديناميكية التحول التي قد تطاله في ظل التغيرات الاجتماعية والثقافية المعاصرة، وهو ما يمنح هذا الموضوع بعدا جديدا من حيث المعالجة والتحليل.

أما عن المستوى الميداني، فقد أسهمت الملاحظة المباشرة ومرافقة عدد من الجنائز في الكشف من اختلافات واضحة بين بعض الطقوس الجنائزية التقليدية والممارسات الحديثة. سواء من حيث أشكال التعبير الرمزي، أو نوعية التمثلات التي ترافقها، أو حتى طريقة تأطيرها وتنظيمها، وهو ما حفزني على استكشاف هذا التحول من زاوية أنثربرلوحية تحليلية.

كما أن اختيار الموضوع جاء مدفوعا أيضا بدوافع ذاتية نابعة من التجربة الشخصية إذ لاحظت أن بعض الولائم التي تقام خلال الجنائز بدأت تاخذ طابعا احتفاليا أقرب إلى الأعراس، ما جعلني أتساءل عن مدى تغير نظرة الأفراد للموت، وهذا ما دفعني للتساؤل حول الثابت في المقوس الجنائزية والمتحول فيها.

ويضاف إلى ذلك أنه قد لفت انتباهي ما شهده بعض عناصر الطقس الجنائزي من تحولات لافتة خصوصا في الممارسات المتعلقة بالولائم، حيث أصبح التركيز موجها نحو ارضاء المعزين، وتقديم الأطعمة والحلويات بشكل مبالغ فيه، بدل التعبير عن الحزن والمواساة، وهي جوانب لم تكن بارزة في السابق. كما ظهرت ممارسات مستجدة مثل الاحتفال بالأربعينية للمتوفى، وغيرها من الظواهر التي أثارت فضولي وأثرت في اختياري، إذ رأيت في هذه التغيرات مدخلا مهم لفهم التبدلات لان العميقة التي مست المنظومة الرمزية والاجتماعية المرتبطة بالموت في المجتمع التبسي.

3-الدراسات السابقة:

شكلت الطقوس الجنائزية محور اهتمام العديد من الدراسات الأنثروبولوجية والسوسيولوجية، بالنظر إلى كونها ظاهرة اجتماعية وثقافية مركبة، تتقاطع فيها الدلالة الرمزية

مع البعد الجماعي والديني. وقد تباينت مقاربات الباحثين في تناول هذه الطقوس تبعا لتوجهاتهم النظرية وسياقاتهم الميدانية.

– في السياق الأنثروبولوجي الكلاسيكي، يعد "أرنولو فان جينيب" من أوائل من تناولوا الطقوس الجنائزية في كتابه المرجعي "طقوس العبور" " Les Rites de passage " حيث قسم الطقوس إلى ثلاث مراحل وهي: "الانفصال، الانتقال، الاندماج" وأبرز إلى الموت[1] .

وقد الهم هذا العمل دراسات لاحقة حول البنية الرمزية للطقوس الجنائزية في مختلف الثقافات.

اما " كلود ليفي ستروس" فقد تعامل مع الطقوس ضمن النسق البنيوي الرمزي، معتبرا أن الممارسات المرتبطة بالموت تعبر عن البنية العقلية للجماعة وأنها تندرج ضمن نظام تمثيلات منظم يعبر عن الحياة والموت، المقدس والمدنس، النظام والفوضى[2].

في السياق العربي، نجد دراسات مثل دراسة "عبد الحميد بورايو" حول الرموز في الثقافة الشعبية الجزائرية، حيث أشار إلى حضور الطقوس الجنائزية ضمن الموروث الشفوي وان بشكل غير مباشر[3]. كما اشتغل "مصطفى عبد الواحد" على الطقوس الدينية والاجتماعية في المجتمعات المغاربية. وأبرز تداخلها مع البعد القبلي والروحي[4]، غير أن هذه الأعمال لم تتعمق في الطقس الجنائزي، بوصفه موضوعا مركزيا بل تناولته كجزء من منظومات أكبر.

وفي الجزائر تحديد اظهرت بعض المحاولات الجامعية التي تناولت موضوع الطقوس على غرار مذكرات ماجستير تناولت الطقوس الدينية في بعض المناطق الريفية أو الممارسات

[1]– أرنولد فان جبيني طقوس العبور باريس ايميل نوري 1909

[2]– Arnold Van Bennen. Les Ruites de passage, Paris. E Mile Nourry. 1909

[3]– كلود ليفي شروس، باريس بلون 1962.

[4]– Claude l'évi. Stucass. La pensée sauvage. Paris. Plon. 1962

التقليدية أثناء الجنازات[1]، لكنها غالبا ما ركزت على الجانب الوصفي أو افتقرت إلى المقاربة الميدانية المتكاملة التي تدمج بين التحليل الرمزي والملاحظات بالمشاركة.

ويلاحظ أن معظم هذه الدراسات سواء الكلاسيكية أو الحديثة، ركزت على الطقوس بوصفها نصوصا ثقافية قابلة للقراءة والتأويل، دون أن تخوض في تفاعلاتها الحية داخل السياقات المحلية المعاصرة، ولا في كيفية تغيرها تبعا للتحولات الاجتماعية. وهو ما تسعى الدراسة الحالية إلى تناوله. اذ تنطلق من الواقع الميداني المحلي للمجتمع التبسي في محاولة لفهم كيفية استمرار بعض الطقوس واختفاء او تحول بصنفها الآخر، في ظل مؤثرات الحداثة والدين والوسائط الجديدة.

من هنا فإن الدراسة الحالية لا تكتفي بسد فراغ بحثي بل تسعى إلى تقديم مقاربة أنثربولوجية ميدانية تلامس الواقع الحي، وتظهر الطقوس الجنائزية ليس فقط كرموز موروثة بل كممارسات دينامية تعاد صياغتها داخل الجماعة[2].

4-اشكالية الموضوع.

تعتبر الطقوس الجنائزية من أقدم وأعمق الطقوس الاجتماعية التي عرفها الانسان اذ لم توجد جماعة بشرية عبر التاريخ الا ورافقت لحظة الموت بطقوس وشعائر محددة تخرج من إطار الفردي الجماعي، ومن العابر إلى الرمزي، ويبدوا أن هذه الطقوس بما تحمله من بنى رمزية، لا تعتبر فقط على كيفية توديع الميت بل تكشف عن رؤية المجتمع للعالم، للروح وللعلاقة بين الحياة والموت، إنها طقوس انتقالية بامتياز par excelence يعاد من خلالها ترتيب العلاقات الاجتماعية، واستدعاء الذاكرة الجماعية، وتأكيد النظام الرمزي للجماعة.

[1]– عبد الحميد بورايو، تمثيلات الموت في الثقافة الشعبية الجزائرية مجلة للثقافة الشعبية، العدد 13، 2010.

[2] مذكرة ماجستير: "الطقوس الدينية في منطقة الأوراس – جامعة باتنة قسم الأنثروبولوجيا 2018 (مقال توثيقي بمذكرة اطلعت عليها فعليا).

وفي السياق الجزائري فإن الطقوس الجنائزية تمثل لحظة مكثفة من التفاعل الاجتماعي والديني حيث يتشابك ما هو شعائري بما هو تقاليدي، وتتداخل الممارسات الدينية الرسمية مع ممارسات محلية موروثة، تشكل في مجموعها بنية ثقافية متماسكة تعبر عن خصوصية كل مجتمع محلي لكن هذه البنية التي طالما تميزت بدرجة من الثبات والاستمرارية أصبحت اليوم تواجه موجة من التحولات الاجتماعية والثقافية الناتجة عن تعميم التعليم ووسائل الإعلام وتزايد الاحتكاك بأنماط الحياة الحديثة إلى جانب التحولات الاقتصادية والديمغرافية.

ضمن هذا السياق، يبرز المجتمع التبسي كفضاء اجتماعي وثقافي غني بالدلالات، يعيش بدوره على وقع هذه التحولات، فالممارسات الجنائزية التي طالما شكلت جزءا من النسيج التقليدي المحلي، بدأت تعرف أشكالا جديدة من التعبير، تراوحت بين التخفيف من بعض الطقوس، ما يدفع إلى التساؤل حول كيفية تلقي أفراد المجتمع لهذه التغيرات وهل ينظر اليها كذا كل للرمزي الجماعي أم كتكيف مرن مع السياقات الجديدة.

ان الطقوس الجنائزية لا تتعلق بالميت فقط، بل هي في جوهرها خطاب عن الحياة، عن الاستمرارية وعن هوية الجماعة ودراستها في المجتمع التبسي لا تهدف إلى تقديم وصف اثنوغرافي جامد بل إلى فهم أعمق للديناميكيات الاجتماعية والثقافية التي تحرك هذا المجتمع من الداخل بين ما يراد الحفاظ عليه وما يعاد تشكيله، وما ينسى أو يتجاوز ضمن هذا السياق. تطرح الاشكالية المركزية التالية:

إلى أي مدى تعكس الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي ثباتا في بنيتها الرمزية والاجتماعية؟

وما مدى التحول الذي لامسها في ظل التغيرات الاجتماعية الراهنة؟

ولتفكيك متغيرات اشكالية موضوعنا نطرح تساؤلين فرعيين:

ما هي أبرز مظاهر التحول التي طرأت على الطقوس الجنائزية؟

وما هي الطقوس التي ما تزال تحتفظ ببعدها التقليدي وتحافظ على استمراريتها؟

أي بصيغة أخرى: ما الثابت والمتحول في الطقوس الجنائزية؟

5-أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة الأنثروبولوجية إلى مقاربة الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي باعتبارها نسقا رمزيا واجتماعيا يجسد منظومة القيم والتصورات الثقافية للجماعة المحلية، ومن خلال التعمق في ممارسات الموت وطقوسه، تسعى الدراسة التحقيق، حالة من الأهداف:

- **الكشف عن البنية الطقوسية التقليدية للجنائز في المجتمع التبسي:** من حيث مراحلها، رموزها، وأدوار الفاعلين الاجتماعيين فيها.
- **تحليل مظاهر الثبات في الطقوسية الجنائزية:** من خلال الوقوف على عناصر الشعائرية التي لا تزال تحتفظ استمراريتها الرمزية والاجتماعية رغم التغيرات المحيطة.
- **رصد التحولات التي تمس هذه الطقوس:** سواء من حيث الشكل أو الدلالة أو التنظيم وربطها بالسياقات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية الراهنة.
- **فهم كيفية تكيف المجتمع التبسي مع موجة التغيير:** والآليات التي يعتمدها الأفراد والجماعة في إعادة إنتاج طقوسهم الجنائزية بما يضمن الاستمرارية والشرعية الرمزية.
- **إبراز الدور الذي تؤديه الطقوس الجنائزية لإعادة ترميم النسق الاجتماعي:** في لحظة الفقدان، كنوع من اعادة ترتيب العلاقات، واستحضار الهوية الاجتماعية.
- **الاسهام في توثيق وتحليل الطقوس المحلية:** في منطقة تبسة، ومساهمة في إغناء الأدبيات الأنثروبولوجية المهتمة بالطقوس والممارسات الرمزية في المجتمعات المغاربية.

6-أهمية الدراسة

تكتسب هذه الدراسة أهميتها من تعدد الأبعاد التي تغطيها والتي تعكس الحاجة، العلمية والميدانية لفهم الظاهرة الطقسية والاجتماعية للطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي في سياقها المحلي الخاص.

أولا: على المستوى المعرفي: تسعى الدراسة إلى إثراء الحقل الأنثروبولوجي بفهم معمق للطقوس الجنائزية باعتبارها منظومة ثقافية واجتماعية غنية بالرموز والدلالات التي تعبر عن التصورات المجتمعية للموت والعبور الى الحياة الأخرى هذا الفهم لا يقتصر على الجانب الديني فقط، بل يمتد إلى تفسير الأبعاد الرمزية والوظيفية التي تلعبها هذه الطقوس في تنظيم العلاقات الاجتماعية والحفاظ على الترابط الجماعي، بما يثري النظرية الأنثروبولوجية حول الطقوس والعبور الطقوسي في المجتمعات التقليدية والمعاصرة على حد سواء.

ثانيا: على المستوى الميداني: تأتي أهمية الدراسة من توثيق واقع طقوس جنائزية في مجتمع تبسي لم تحظ بالكثير من الدراسات الأكاديمية المفصلة، خصوصا من خلال اعتماد المنهج الاثنوغرافي القائم على الملاحظة بالمعايشة والمقابلات مع الفاعلين في الميدان هذه المقاربة تسمح باكتشاف التفاصيل الدقيقة للممارسات الحية والاحتفاء بالاختلافات الدقيقة في أداء الطقوس، مما يضيف عمقا نوعيا للمعرفة حول التجربة الحياتية اليومية المرتبطة بالموت في هذا السياق المحلي.

ثالثا: على المستوى التحليلي: تركز الدراسة على استكشاف التفاعل بين الثوابت التقليدية في الطقوس من جهة، والتغيرات والتحولات الاجتماعية الحديثة من جهة أخرى، تهدف الدراسة إلى فهم آليات التكيف والتغيير التي تسمح للمجتمع التبسي بالحفاظ على جوهر الطقوس الرمزية رغم ما تشهده من ضغوط وتحولات، مما يفتح آفاقا لفهم أعمق حول كيف تتفاعل الثقافات مع التحديث دون أن تفقد هويتها.

رابعا: من الناحية المنهجية: تقدم الدراسة نموذجا تطبيقيا في كيفية تناول موضوع حساس كالطقوس الجنائزية والموت عبر استخدام أدوات البحث الأنثروبولوجي التقليدية والحديثة، مثل: الملاحظة بالمعايشة المقابلة، وتحليل الخطابات، مما يثري ممارسات البحث العلمي في هذا المجال، ويساهم في تطوير منهجيات ميدانية قادرة على التعاطي مع موضوعات حساسة ومتعددة الأبعاد.

خامسا: على المستوى الثقافي والتوثيقي: تبرز أهمية الدراسة في مساهمتها في حفظ جزء من الذاكرة الجماعية والرمزية للمجتمع التبسي، حيث تواجه بعض الممارسات الطقسية التقليدية تهديدات بالإندثار أو التغييرات العميقة بفعل التحولات الاجتماعية والثقافية المتسارعة بالتالي: تمثل الدراسة وثيقة ميدانية هامة تخلد تجارب وممارسات ثقافية تساهم في استمرارية الهوية الجماعية وتماسك المجتمع في مواجهة التحولات

بذلك توفر هذه الدراسة رؤية شاملة ومتعددة الأبعاد حول الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي، تجمع بين النظرية والتطبيق، وبين التحليل الثقافي والتوثيق الميداني، مما يجعلها إضافة علمية.

7-معوقات الدراسة

واجهت أثناء قيامي بالدراسة الميزانية عددا من الصعوبات التي ارتبطت بطبيعة الموضوع وحساسية داخل المجتمع المحلي نذكر منها

-حساسية الموضوع ميدانيا: موضوع الطقوس الجنائزية يعد من المواضيع الحساسة نظرا لارتباطها بالموت وهوما جعل بعض الأفراد يبدون نوعا ما من التحفظ في الحديث او مشاركة تفاصيل دقيقة خصوصا تلك المتعلقة بالمعتقدات والممارسات الخاصة مما يتطلب مني بناء علاقة ثقة تدريجية مع المبحوثين.

-التحفظ تجاه التوثيق: أبدى بعض أفراد المجتمع المبحوث تخوفا من استخدام ادوات التوثيق مثل: التسجيلات الصوتية، التصوير خاصة أثناء الطقوس وهو ما دفعني الى الاعتماد على التدوين اليدوي والملاحظة المباشرة دون الاخلال بخصوصية الحدث

-الزمن الطقسي الطارئ: نظرا اكون الطقوس الجنائزية لا يمكن التنبأ بها مسبقا فقد واجهت نوعا من صعوبة في توقيت الملاحظة بالمشاركة لبعض الجنائز حيث كان لزاما التواجد في الميدان بشكل دائم تقريبا مع الاستعداد الفوري للتنقل عند حدوث الوفاة

–صعوبة التوفيق بين الحضور والملاحظة: بحكم الطابع العاطفي للحدث خاصة عند مرافقة بعض العائلات في الطقوس وجدت صعوبة في الموازنة بين التفاعل الإنساني والملاحظة العلمية وهو ما تطلب جهدا اضافيا في ضبط المسافة بين الذات الباحثة والميدان

– انغلاق بعض الفئات: لاحظت ان بعض الفئات خاصة كبار السن او النساء أحيانا يفضلن عدم الخوض في تفاصيل الطقوس بدافع "الحرمة" ما شكل تحديا في الوصول إلى المعلومات الدقيقة حول الطقوس المعينة.

8–تحديد المفاهيمي:

مفهوم الطقوس:

أولا: التعريف اللغوي: يشتق لفظ الطقس في اللغة العربية من الجذر الثلاثي وقد ورد بمعنى الهيئة أو الحالة التي يكون عليها الشيء وقيل "طقس المكان" أي تغيرت حالته أو جوه ويستخدم اللفظ في المعاجم اللغة للإشارة إلى العادات أو الأحوال المرتبطة سكان أو زمان معين[1].

الطقس عن المسيحيين. هو نظام العبادات الدينية وأشكالها، شعائرها واحتفالاتها.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي: يعرف الطقس في الدراسات الأنثروبولوجية، على أنه مجموعة من الأفعال الرمزية والاجتماعية التي تمارس بشكل منتظم ومتكرر وتحمل دلالة ثقافية أو دينية داخل الجماعة، فالطقس ليس مجرد أداء جسدي، بل يحمل في طياته منظومة من المعاني التي يعبر عن تصورات الجماعة للعالم. وللعلاقات بين أفرادها والمقدس والمألوف.

[1]– ابن منظور، لسان العرب، مادة: "الطقس"ج15.

يذهب إيميل دوركايم إلى أن الطقوس هي أفعال جماعية تنتج التضامن الاجتماعي وتعيد إنتاج النظام الرمزي للمجتمع[1]، بينما يرى فكتور تيرنر أن الطقوس تشكل لتحظات انتقالية تتجلى فيها البنية الرمزية للجماعة وتختبر حدودها[2].

ويضيف كلود ليفي ستروس أن الطقس هو بنية عقلية تعبر عن لاوعي الجماعة[3].

ثالثا: التعريف الإجرائي:

مجموعة من الأفعال المتكررة والتعارف عليها اجتماعيا، تمارس في سياق الوفاة بشكل جماعي ومنظم، وتعتبر واجبا لا يمكن التخلي عنه، مثل الغسل والتكفين والدعاء.

[1]– ايميل دور كايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، باريس، الكان، 1912.

[2]– فكتور تيرتر، عملية الطقس، البنية واللبنية، ألداين دي غرويتر، 1969.

[3]– كلود ليفي شتروس، الفكر المتوش، باريس، بلون، 1962.

مفهوم الطقوس الجنائزية.

أولا: التعريف اللغوي: يرتبط مصطلح "الجنازة" في اللغة العربية بالفعل جنز الذي يعني حمل البيت إلى قبره ودفنه وتطلق الجنازة ايضا على الميت نفسه وعلى مراسيم دفنه[1] أما الطقس الجنائزي فهو ما يقام من شعائر أو مراسيم عقب الموت[2].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي: تسير الطقوس الجنائزية إلى مجموعة من الشعائر والممارسات الرمزية التي تقوم بها الجماعة بعد وفاة أحد أعضائها، وتمثل في مراسم الغسل، التكفين، الصلاة، الدفن، العزاء، وما قد يرافقها من طقوس أخرى تختلف حسب الخلفية الثقافية والدينية.

يعتبر فان غينيب الطقوس الجنائزية نموذجا بالطقوس العبور حيث تمثل مرحلة الانتقال من عالم الأحياء إلى عالم الأموات. وما يرافقها من رمزية للانفصال وإعادة الاندماج داخل النسق الاجتماعي[3]، بينما يرى تبرنر أنها لحظة "لامركزية (liminelité) تعيد تشكيل العلاقات الاجتماعية وتظهر توترات الجماعة أو تماسكها[4].

وقد تباينت الدراسات الأنثروبولوجية في تفسير دلالات هذه الطقوس. فبعضها ركز على بعدها الديني وأخرى على بعدها الرمزي والوظيفي في تقوية التضامن الإجتماعي. وبعضها الحديث اهتم بتحليل كيفية تغيرها أو مقاومتها للحداثة.

ثالثا: التعريف الإجرائي: كل الممارسات المرتبطة بالموت في المجتمع التبسي، من الإحتضار إلى ما بعد الدفن وتشمل الطقوس الدينية (كالصلاة)، والرمزية (كقصعة الفرقة)، والإجتماعية (كالعزاء والطعام) وتنفيذ بوصفها تقاليد ملزمة ذات دلالات دينية واجتماعية.

---

[1]– ابن المنظور، مرجع سبق ذكره.

[2]– مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، القاهرة، دار المعارف الطبعة 4، 2004، ص 153.

[3]– ارنولدفان جينيت، طقوس العبور، باريس، اميل نوري، 1909.

[4]– فكتور تيرنز، عملية الطقس، البنيو واللانبية، دار ألدين 1969.

مفهوم الثبات:

أولا: التعريف اللغوي: الثبات في اللغة من الجذر "ثبت"، ويعني الاستقرار والدوام وعدم التغير يقال ثبت الأمر أي استقر واستدام. لأمر أن استقر واستدام. و"ثبت على حالة أي لم يتبدل ولم بتقول الله والثان من التحول والتبدل[1].

ثانيا: التعريف الاصطلاحي: يشير الثبات في السياق الأنثروبولوجي إلى استمرارية بعض العناصر الثقافية أو الرمزية داخل المجتمع، بالرغم من التحولات التي تطرأ على بنيته الاجتماعية أو أنساقه الرمزية[2].

ويتجلى هذا المفهوم في تمسك الجماعة بأنماط متكررة من السلوك الطقوس. أو المعتقدات تعاد إنتاجها عبر الزمن، تحمل بدلالات تعدها الجماعة جوهرية في تكوين هوتيها الجماعية.

وقد أكد لكود ليفي شورس في تحليله للبنية الثقافية أن المجتمعات تسعى إلى إعادة إنتاج --- الرمزية للحفاظ على التوازن.

والاستمرارية رغم ما يطرأ من مستجدات وهنا يظهر الثبات كمكون فعال داخل البنية الثقافية، وليس مجرد مقاومة للتغيير، بل كآلية لإعادة إنتاج النظام الرمزي للجماعة.

ثالثا: التعريف الإجرائي: استمرار بعض الممارسات الجنائزية كما هي منذ اجيال دون تغيير ملحوظ، خاصة ما تعلق بالواجبات الدينية الأساسية وهو ما يعكس التمسك بالتقاليد والمرجعية الدينية.

مفهوم التحول:

[1]– ابن منظور مرجع سبق ذكره.

[2]– كلود ليفي شتروس، الفكر البري(la pensée suvage)، دار بلون، باريس، 1962، ص 327.

أولا: التعريف اللغوي: التحول في اللغة العربية من الفعل "تحول" ويعني التغير من حال إلى حال يقال: "يحول الشيء" أي تعبر شكله ومضمونه أو حالته الأصلية[1]. وهو ضد الثبات ويدل على الحركة والتبدل والانتقال

ثانيا: التعريف الاصطلاحي: يشير التحول في الأدبيات الأنثروبولوجية إلى عملية التغير التي تطرأ على البنى الرمزية أو الممارسات الثقافية، داخل المجتمع نتيجة عوامل داخلية أو خارجية مثل الاحتكاك التفاني التحديث التغيرات الاقتصادية والدينية أو الاستعمار والتحول لا يعني القطيعة التامة مع الماضي بل غالبا ما يتم عبر تكييف مستمر لعناصر الثقافة، حيث يعاد تأويلها في ضوء سياقات جديدة.

وقد اعتبر "فيكتور ترنر" أن التحول ليس مجرد تعبير في الطقوس، بل هو دينامية ومرية تعبر عن التوتر بين البنية والتضاد بين النظام والانفلات وتسهم في إعادة تشكيل المجمع ومعناه الرمزي[2]، وهكذا يعد التحول آلية مركزية في فهم كيفية اشتغال الثقافة عبر الزمن.

التعريف اجرائي: تغيرت تدريجي طال بعض الطقوس والممارسات المرتبطة بالجنائز في المجتمع التبسي. سواء في طريقة الأداء، أو في اختصار الزمن أو إدخال عناصر جديدة كالإعلانات الرقمية وخدمات الدفن خاصة (الجمعيات) نتيجة تأثير الحداثة وظروف العيش الجديدة.

9-فضاءات الدراسة

الإطار المكاني:

تتمركز هذه الدراسة ميدانيا في مدينة تبسة والواقعة في الجهة الشرقية من الجزائر على بعد ما يقارب 700 كلم من العاصمة بمحاذاة الحدود التونسية، تنتمي تبسة إلى الشمال الشرقي

---

[1]- ابن منظور لسان العرب، مادة "تحول" دار صادر بيروت، دون تاريخ

[2]- فيكتور ترنز عملية الطقس البنية واللابنية (the litual process: struture and anti- strcture) أليدين النشر 1969، ص 94.

الجزائري وهي من أقدم المدن الجزائرية ذات عمق تاريخ وحضاري ممتد حيث شهدت تعاقب حضارات متعددة منذ عصور ما قبل التاريخ مرورا بالرومان والبيزنطيين، وصولا إلى الفتح الإسلامية والحقبة العثمانية، وهو جعل منها، مجالا غنيا بالرموز والممارسات الثقافية المتنوعة لاسيما في ما يتصل بالطقوس الجنائزية.

لقد تم اختيار مدينة تبسة تحديد كمجال الدراسة نظرا لما تزخر به من ممارسات ظل التحولات الاجتماعية والثقافية المتسارعة، كما أن هذا المجال الحضري يظهر تبينات داخلية في أداء الطقوس الجنائزية بين مختلف احيائه ما يتيح امكانيات للملاحظة والتحليل المقارن لرصد الثابت والمتحول داخل النسق الجنائزي المحلي.

واعتمدت هذه الدراسة على ميدان المدينة دون التوسع إلى القرى والمداشر بهدف التركيز على المجتمع الحضري الذي يشهد تداخلا بين المرجعيات القديمة والتأثيرات المعاصرة، ممايساهم في إبراز أشكال التكيف مع التغير دون القطيعة مع الرمزي والتقليدي. وتجدر الإشارة إلى أني أنتمي إلى هذا المجتمع المحلي، وهو ما ساعدني على فهم الطقوس والممارسات من الداخل ليس فقط كموضوع للدراسة. بل كتجربة أعيشها وإلا حظها عن قرب. هذا القرب من الميدان سهل على استعمال أدوات البحث الأنثروبولوجي. ما سمح لي يجمع معطيات دقيقة وواقعية حول الطقوس الجنائزية في مدينة تبسة.

الإطار الزماني:

تعد الطقوس الجنائزية في ولاية تبسة إنتاج لتراكمات تاريخية وثقافية عميقة تعكس التفاعل بين المعتقدات الدينية والتقاليد الإجتماعية عبر العصور وقد شهدت الطقوس تطورا ملحوظا من خلال المراحل الزمنية التالية:

1- **العصور القديمة:** في هذه الفترة تأثرت الطقوس الجنائزية بالمعتقدات الوثنية والديانات القديمة، حيث كانت تمارس طقوس معقدة تعكس تصورات المجتمع حول الحياة والموت. وقد

أشار الباحثون إلى أن هذه الطقوس كانت تحمل دلالات رمزية عميقة تجسد العلاقة بين الأحياء والأموات[1].

2- **العصور الوسطى:** مع دخول الإسلام إلى المنطقة. حدث تحول في الطقوس الجنائزية. حيث تم بيني ممارسات جديدة تتماشى مع التعاليم الإسلامية. مع الاحتفاظ ببعض العناصر التقليدية التي استمرت في الممارسة الشعبية[2].

3- **الفترة الاستعمارية:** خلال الاستعمار الفرنسي. شهدت الطقوس الجنائزية تغيرات نتيجة التفاعل بين الثقافة المحلية والثقافة الفرنسية. مما أدى إلى ظهور بعض الممارسات الجديدة أو تعديل القائم منها[3].

4- **الفترة المعاصرة:** في العصر الحديث تأثرت الطقوس الجنائزية بالعولمة والتغييرات الاجتماعية. مما أدى إلى تباين في الممارسات بين المناطق الحضرية والريفية مع استمرارية بعض التقاليد القديمة في بعض المناطق[4].

5- **تاريخ انطلاق الدراسة:** بدأت الدراسة رسميا بعد الحصول على موافقة المشرف الأكاديمي بتاريخ 18 ديسمبر 2024 حيث تم تحديد الإطار الزمني للبحث ليشمل الفترة من ديسمبر 2024 إلى ماي2025 مع التركيز على تحليل الطقوس الجنائزية في ولاية تبسة من منظور أنثروبولوجي.

---

[1] – بوقفة صبرينة الطقوس والممارسات العقائدية في المجمع الشعبي بولاية تبسة ودلالاتها الاجتماعية مجلة السياق، مجلد 2، ع1، 2017، ص-ص 51-47.

[2]– رحماني نعيمة مقاربة أنثربولوجية الرمزية الوفاة وطقوس الاحتضار في الخيال الشعبي مدينة تلمسان أنموذجا، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، مج7، ع 1، 2004، ص-ص 86-89.

[3]– رقاد الجيلالي الطقوس الجنائزية بين سلطة التقاليد المحلية وجبروت النص عند السلفيين: دراسة ميدانية أنتربولوجيا المجلة العربية للدراسات الانثربولوجية المعاصرة، مج 4، ع 7، 2018، ص-ص 128-148.

[4] – عريس نصر الدين الطقوس الجنائزية كآلية للتفريغ النفسي ولاية تلمسان – الجزائر انثربولوجيا، مج 9، ع 2، 2024، ص-ص 78-89.

كما ان طول الفترة الزمنية نسبيا اتاح فرصا متكورة لحضور مختلف وجه أشكال الطقوس الجنائزية، سواء في مراحل الاحتضار أو الغسل أو الدفن أو العزاء وكذلك طقوس اليوم السابع واليوم الأربعين، وقد ساهم هذا التمديد الزمني في رصد الثابت والمتحول في الممارسات عبر حالات متنوعة وضمن سياقات اجتماعية واجتماعية مختلفة مما أضفى على الدراسة طابع التعمق والاستمرارية في المتابعة الميدانية.

10- المنهج الوصفي التحليلي

بعد المنهج الوصفي التحليلي من بين أهم المقاربات المنهجية التي يعول عليها في البحث الأنثروبولوجي والسوسيولوجي. خصوصا في دراسة الظواهر الرمزية والثقافية ذات الامتداد التاريخي والعمق الاجتماعي. ينطلق هذا المنهج من مبدأ أساسي يتمثل في "الربط بين الوصف الدقيق للواقع الاجتماعي والتحليل العميق لأبعاده النبوية والرمزية" حيث لا ينظر إلى الظاهرة فقط بوصفها تجميعها ميكانيكيا لممارسات متكررة، بل كنسق دلالي تتجلى في إطار اجتماعي وثقافي معين ويقصد بالوصف من هذا الوقوق الميداني على تفاصيل الطقوس الجنائزية كما، تمارس في الحياة اليومية بمختلف مراحلها وشخوصها وتجلياتها المادية، وذلك من خلال الدقيقة والرمزية، ودل من خلال المعايشة المباشرة والملاحظة الدق والمشاركة أحيانا، إلى جانب تقنيات أخرى كالمقابلات والسرديات الشخصية، أما التحليل، فيرمي إلى فهم "فهم منطق الفاعليين الاجتماعيين" في تأدية تلك الطقوس والتعمق في دلالاتها الرمزية ووظائفها النفسية والاجتماعية، وربطهما بسياقاتها الثقافية والتاريخية.

وفي إطار دراستنا لموضوع "الطقوس الجنائزية بين الثبات والتحول في المجتمع التبسي" فإن اعتماد هذه المقاربة يمكننا من تناول الممارسات الطقسية في بعدها الكيفي من حيث الشكل والمضمون، كما يتيح لنا التمييز بين ما يمثل عناصر الثبات في البنية الرمزية للطقس الجنائزي. وما يعد مؤشرا على التحول الاجتماعي أو التغيير الثقافي الحاصل نتيجة عدة عوامل مثل التحضر التعليم، الانفتاح على أنماط دينية أو فكرية مغايرة.

كما أن هذا المنهج تساعدنا في تجاوز النظرة السطحية أو الفلكلورية للطقوس من خلال محاولة تفكيك البعد الرمزي والروحي والاجتماعي الكامن من وراء كل ممارسة وقراءتها في ضوء علاقات السلطنة والتراتبية داخل الجماعة المحلية، وكذا في ضوء القيم الثقافية السائدة.[1]

ويبرز محمد الحيفي أهمية هذا المنهج بقوله: "إن التحليل الوصفي لا يقتصر على تقديم المعطيات أو تصنيفها، بل يتجاوز ذلك إلى محاولة إعادة بناء المعنى الذي تمنحه الجماعة لممارساتها، وأدراك السياقات التي تنتج فيه هذه الممارسات وتعيد تشكيلها[2]"

وبالتالي، فإن هذا المنهج بين الأداة المنهجية الأنسب للولوج إلى أعماق الثقافة الشعبية للمجتمع التبسي، خصوصا في موضوع حساس ومشحون بالرمزية كالموت والطقوس المرتبطة به لأنها تراعي الفعل الاجتماعي في واقعيته وخصوصيته وتعدد مستوياته الدلالية.

11- الإجراءات المنهجية

مجتمع البحث والعينة: تم إجراء الدراسة الميدانية في منطقة تبسة معتمدين مع عينية قصدية تتكون من 10 حالات جنائزية. تم اختيارها وفقا لمعايير التنوع في السن والجنس والوضعية الاجتماعية ودرجة الاستعداد النفسي للموت من قبل ذوي الفقيد وقد شملت العينة.

الحالة 1 و2: رجلان في عقدهما الثامن من الطبقة*

طويلة مع مرضى السرطان، ما جعل عائلتيهما مهيأتين لوفادتهما.

الحالة 3: رجل والذي في عمر يتراوح بين 73-74 سنة من الطبقة المتوسطة عانى من المرض قبل وفاته بثلاثة أيام، وكان المحيط العائلي مهيأ لرحيله.

[1] – محمد الحيفي، منهجية البحث السوسيولوجي، مقاربات وأدوات، دار التنوير بيروت، 2017، ص 142.

[2] – محمد الحيفي، المرجع نفسه.

والعيش، نمط السكن، العلاقات الاجتماعية، الذوق الثقافي، والمكانة الرمزية أو النسب العائلي.

الحالة 4: شاب في سن 28 سنة، مريض بالسكري، وقد تدهورت حالته خلال 5 أيام، ولم تكن أسرته مستعدة لوفاته.

الحالة 5: رجل في سن بين 70 – 80 سنة كان مريضا، ولكن وفاته جاءت مفاجئة نسبيا لعائلته.

الحالة 6: امرأة في الستينات. تعاني من بتر في الأطراف، وكانت الأسرة مهيأة لوفاتها.

الحالة 7: رجل يتراوح عمره بين 80 و90 سنة، عانى من تدهور صحي تدريجي. وكانت عائلته مستعدة لوفاته.

الحالة 8: امرأة في عمر 68 سنة، مريضة بالسرطان وتم التهيؤ النفسي، داخل الأسرة لرحيلها.

الحالة 9: امرأة في السينات من عمرها تعاني من بتر في الأرجل، وكانت الأسرة على وعي بقرب وفاتها، إلا أنهم لم يكونوا مهيئين نفسيا.

12- أدوات جمع البيانات

بما أن هذه الدراسة أنثربولوجية ميدانية، تعني لفهم الوضوح والمعاني الثقافية المرتبطة الطقوس الجنائزية داخل المجتمع التبسي فقد تم الإعتماد على:

1- **الملاحظة بالمعايشة:** تعرف الملاحظة بالمعايشة بأنها أسلوب بحثي يعتمد على انغماس الباحث في الحياة اليومية لمجموعة موضوع الدراسة، بهدف رصد سلوكياتهم وتفاعلاتهم داخل سياقهم الطبيعي، دون التدخل المباشر في مسار الأحداث[1].

اعتمدت على هذه التقنية من خلال مشاركتي الفعلية في مختلف مراحل الطقوس الجنائزية بمدينة تبسة، وهو ما أتاح لي توثيق الممارسات في لحظتها الزمنية الواقعية، وقد ارتكزت هذه الأداة على مبدأ الحضور المستمر والملاحظة الدقيقة دون إصدار أحكام قيمة سعيا إلى النقاط المعاني الرمزية والاجتماعية الكامنة في السلوكيات.

[1]- ما لكوم مدخل إلى البحث الأنثربولوجي ترجمة محمد الجوهري: المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2013، ص 55.

2- **الاخباريون:** هم أفراد ينتمون إلى الجماعة المدروسة، يتمتعون بمعرفة معمقة حول التقاليد والعادات المحلية، ويعتبرون مصادر حيوية لنقل الروايات الشفوية والخبرات الثقافية[1].

في هذا الموضوع تم اختيار الاخباريون بناء على معيار الخبرة الطويلة والمكانة الاجتماعية داخل المجتمع التبسي. مما أمكن لي من الحصول على بيانات ثرية تتعلق بتفاصيل الطقوس الجنائزية، وقد استندت هذه الأداة إلى مبدأ الوثوقية الثقافية، أي الاعتماد على المعرفة الداخلية للأفراد المطلعين على تفاصيل الثقافة المحلية.

3- **المقابلة:** تعد المقابلة نصف الموجهة أداة نوعية تسمح بجمع بيانات معمقة عبر التفاعل المباشر مع المبحوثين. مع الحفاظ على قدر من الحرية لفتح المجال أمامهم للتعبير عن تجاربهم الذاتية[2] .

وقد أجريت مقابلات مع عدد من أفراد المجتمع التبسي، ومن مختلف الأعمار والفئات الاجتماعية، مركزة على الشهادات المتعلقة بالطقوس والممارسات الرمزية، واعتمدت هذه الأداة على مبدأ الاستماع الفعال وإعادة الصياغة من أجل تعزيز صدق المعلومات المجمعة مع احترام الفوارق الفردية في طريقة التعبير.

إن اعتماد على الملاحظة بالمعايشة والإخباريون والمقابلات نصف الموجهة لم يكن اختيارا عشوائيا. بل جاء استجابة لطبيعة الموضوع الذي يتطلب فهما داخليا للممارسات والرموز الجنائزية داخل المجتمع التبسي. فقد سمحت هذه الأدوات بتكوين صورة، عميقة ودقيقة للطقوس، كما تمارس وتفهم من طرف الفاعلين الاجتماعيين أنفسهم، ويعد الجمع بين هذه

[1]- بورد. سيفان وجان بيرويير، دليل البحث الميداني ترجمة عبد الوهاب العلمي، دار الأمان، الدار البيضاء ، 2012، ص55.

[2]- كيفي ربون، وفان كامبنهودت لوك، دليل البحث في العلوم الاجتماعية ترجمة محمد الطاهر، دار الفارابي، بيروت، 2012، ص 62.

الوسائل الثلاث بمثابة استراتيجية منهجية مكنت من ملامسة الظاهرة في مستوياتهم الرمزية والاجتماعية والعلمية معاً، بما يخدم الأهداف الأنثروبولوجية للبحث.

الفصل الثانـي:

المقاربة النظرية للطقوس الجنائزية بين الثبات والتحول

في المجتمع التبسي.

تمهيد:

1- مقاربة الوظيفية للطقوس الجنائزية

2- مقاربة نظرية الرمزية التأويلية للطقوس الجنائزية

3- مقاربة نظرية طقوس العبور للطقوس الجنائزية

4- مقاربة نظرية التحول الاجتماعي

خلاصة

ان الطقوس الجنائزية ليست مجرد ممارسات تقليدية تؤدى عنه الوفاء، بل تعد تعبيرا مركبا عن البنية الثقافية والاجتماعية والدينية للمجتمعات، وهي مرآة. تعكس التصورات الجماعية حول الموت، الروح، المصير، الانتماء، ومن هذا المنطلق تندرج دراسة الطقوس الجنائزية ضمن اهتمامات الأنثروبولوجيا بوصفها نسقا رمزيا وظيفيا شديد التعقيد، يتجاوز بعد الشعائري إلى أبعاد أعمق ترتبط بالهوية بالتماسك الاجتماعي وبالتحولات الكبرى في بنية القيم.

وتأسيسا على ذلك، فإن الالهام بالطقوس الجنائزية يتطلب الإحاطة بعدد من المقاربات النظريات التي تسهم في تفكيك دلالتها وفهم أدوارها المتعددة، إذ لا يمكن تحليل هذه الطقوس بمعزل عن السياقات الرمزية والوظيفية والاجتماعية التي تنبثق منها وتتحرك داخلها، ومن هنا تأتي أهمية هذا الفصل، الذي يروم تقديم أبرز المقاربات النظرية التي شكلت الخلفية المفاهيمية والإبستيمولوجية للدراسة، والتي تم توظيفها في تحليل مظاهر الثبات والتحول في الطقوس الجنائزية لدى المجتمع التبسي، وقد وقع الاختيار على أربع مقاربات رئيسية المقاربة الوظيفية، المقاربة الرمزية، التأويلية، مقاربة طقوس العبور، المقاربة التحول الاجتماعي.

إن جمع هذه المقاربات لا يعني المزج الاعتباطي، بل ويمثل توظيفها منهجيا يسمح بإبراز البنية والمعنى والدينامية. أي الأبعاد الأساسية التي تتقاطع داخل الطقوس الجنائزية مما يمهد لاحقا لتحليل ميداني يأخذ بعين الاعتبار هذا التعدد النظري

1- المقاربة الوظيفية للطقوس الجنائزية:

تعد المقاربة الوظيفية من أبرز المداخل النظرية التي اعتمدتها الأنثروبولوجيا الكلاسيكية في فهم الظواهر الثقافية والاجتماعية. وعلى رأسها الطقوس. فقد انطلقت هذه المقاربة من تصور يفيد بأن كل عنصر في البنية الاجتماعية وظيفة يؤديها تسهم في الحفاظ على تماسك المجتمع واستمراره. ومن أبرز ممثلي هذا الاتجاه. نذكر:

اميل دوركايم (Emile Darkan) الذي رأى أن الطقوس، بما في ذلك الجنائزية منها تلعب دورا مركزيا في تعزيز التضامن الجماعي وتحديد الروابط الاجتماعية، لاسيما في لحظات الأزمات والفقد[1].

كما أشار برونيسلاف مالينوفسكي (B. Malinwski) من خلال دراسته للمجتمعات التقليدية. إلى أن الطقوس الجنائزية لا تعالج فقط مسألة الفقد، بل تسهم أيضا في إعادة التوازن النفسي والمعنوي لأفراد الجماعة، من خلال تقديم تفسير رمزي للموت. وتنظيم السلوك الاجتماعي إزاءه[2].

وفي ضوء هذه المقاربة. يمكن فهم الطقوس الجنائزية باعتبارها آلية وظيفية تفعل في لحظة الموت من أجل استعادة النظام الاجتماعي المهدد بغياب أحد أعضائه ومن خلال ما رصد ميدانيا في المجتمع التبسي، نلاحظ أن الطقوس الجنائزية تشتمل على سلسلة من الممارسات الجماعية التي تتكرر بثبات ملحوظ، مثل التحضير المسبق للكفن والكسوة الأخيرة، أو الامتناع عن اشعال النار داخل البيت أثناء وجود الجثمان هذه الممارسات، في ضوء المقاربة الوظيفية تؤدي وظيفة تنظيم العلاقة بين الحي والميت. كما تسهم في إعادة التوازن النفسي والاجتماعي الأفراد الجماعة. فكما يرى "دوركايم" تعد الطقوس لحظة جماعية تعيد إنتاج التماسك الاجتماعي وتجدد الشعور بالانتماء. وهو ما يظهر في مظاهر التضامن والتكافل أثناء الفقد كحضور الجيران. وإعداد الطعام جماعيا، مما يجعل الطقس وسيلة للحفاظ على البنية الاجتماعية وتقويتها في لحظة الهشاشة والانكسار.

غيران بعض هذه الممارسات شهدت تحولا نسبيا في طريقة تنفيذها أو في رموزها، تبعا للمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية هذه الممارسات في ضوء المقاربة الوظيفية تؤدي وظيفة

[1] – إيميل دوركايم الأشكال الأولية للحياة الدينية ترجمة: خليل أحمد خليل، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، 2008، ص 383.

[2] – برونيسلاف مالينوفسكي الحياة البدائية وقوانينها ترجمة عبد الله عبد الجبار مكتبة الأنجلو المصرية المصرية، القاهرة، 1954، ص 127.

تنظيم العلاقة بين الحي والميت كما تسهم في إعادة التوازن النفسي والاجتماعي لأفراد الجماعة فكما يرى، دوركايم تعد الطقوس لحظة جماعية تعيد إنتاج التماسك الاجتماعي وتجدد الشعور بالانتماء. وهو ما يظهر في مظاهر التضامن والتكافل أثناء الفقد كحضور الجيران وإعداد الطعام جماعيا، مما يجعل الطقس وسيلة للحفاظ على البنية الاجتماعية وتقويتها في لحظة الهشاشة والانكسار.

وعليه فإن الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي رغم ما قد يبدو عليها من ثبات وتقليد. فهي تؤدي وظيفة أساسية في صيانة الكيان الجمعي وضبط التوترات التي قد يحدثها الغياب المفاجئ لأحد أعضائه مما يؤكد صلاحية المقاربة الوظيفية كأداة لفهم أبعاد هذه الطقوس وديناميكيتها في السياق المحلي.

2-المقاربة التأويلية الرمزية للطقوس الجنائزية

تعد المقاربة التأويلية الرمزية من الاتجاهات الأنثروبولوجية الحديثة التي ركزت على المعنى والدلالة، بدلا من الاقتصار على الوظيفة أو البنية ويعتبر كليفور غيرتز من أبرز منظري هذا الاتجاه، حيث ينظر إلى الثقافة كنظام رمزي مركب، تفهم فيه. الطقوس بوصفها نصوصا ثقافية قابلة للتأويل[1]. ووفق هذا المنظور، فإن الطقوس الجنائزية ليست مجرد ممارسات شعائرية، بل هي وسائط رمزية تعتبر من حلالها الجماعة عن رؤيتها للموت والحياة، وعن تصورها للعالم والميتافيزيقيا.

ويبدو هذا الطابع الرمزي جليا في ممارسات المجتمع التبسي أثناء الطقوس الجنائزية إذ أن الكفن الأبيض يحمل دلالات العفة والطهارة والجمال، كأن الميت يهيأ لمقابلة الله في أبهى صورة وهو ما يتقاطع مع رؤية الطقوس ك: تهيئة رمزية لعبور مقدس كما يلاحظ أن كفن المرأة يوضع في غربال وهي ممارسة تستحضر رمزا تقليديا مرتبطا بالزواج. إذ كان الغربال

[1] – كليفور غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة: فالح عبد الجبار، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2009، ص-ص 92-93.

يستخدم لحمل زينة العروس، ما يجعل من طقس الموت امتدادا رمزيا لطقس الزواج، أي "عرس الروح". وفقا للمنظور الشعبي المحلي وتختبر بعين الممارسات الأخرى من دلالات رمزية عميقة مثل تغطية وجه المرأة بمحرمة دلالة عن العفة والسترة ورش المسك عليها لرمزيته الطاهرة والريحة الطيبة. وكذلك وضع الحناء الورق إن لم تكن محناة باعتبارها ذاهبة عروسا الى الله: وهو ما يكرس البعد الرمزي للموت كعبور في المقابل يتم "حلق شعر الرجل ولحيته "ليقابل الله نقيا، كما يغسل بصابون خاص يدفن معه. لما يحمله من قيمة وقائية من الشعوذة، في انسجام بين البعد الرمزي والديني.

ويأخذ الرمزي بعد أدائيا أيضا من خلال "الزغاريد التي تطلقها النساء عنه تشييع الشبان" و التي ترافقها عبارات مثل" تعفقتي ببرنوس الطهارة و خرجتيلي عريس رايح لرب العالمين ,واش من خير منك ". ما يجعل من الفقد مناسبة لتاكيد الانتقال الروحي النقي. كما يغطى الميت برداء أخضر يرمز إلى الدين الاسلامي. والجنة, و هو لون محل بإيحاءات روحانية.

كما أن هذه الزغاريت لا تعبر فقط عن الحزن أو الرثاء، بل تتحول الى طقس احتفالي يحمل معاني العبور النقي والمقدس.

كما يحضر أهل الميت غداء الدفانة (الكسكسي، الشوربة، السلاطة، الفواكه، المشروبات الغازية، الماء، مع اللحوم) والذي يحمل رمزية تهدئة الفأس وتسكين الأرض. ويعتقد أن الروح قد لا تستقر إن لم يحضر هذا الغداء، ويتم أيضا تقديم (التمر، القهوة، حلوى الترك (الشامية)، المقروض) وهي كلها رموز ضيافة مرتبطة بمناسبات الفرح ما يشير إلى تمثل الموت كعبور يستحق الطقس لا الحزن فقط كما يتجلى الطابع الرمزي للطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي أيضا من خلال التفاصيل المرتبطة بالأكل والمأكولات. حيث تحمل الوجبات بطبقات من المعاني تتجاوز حاجاتها الفيزيولوجية. فقبل وجبة العشاء في يوم الدفن، يخرج من البيت كل ما هو مطبوخ في الجنازة لكنه يكون نيا (غير مطهو)، وكذلك مواد التنظيف الكبريت والملح، في إشارة إلى تطهير المكان. وقطع الصلة بينه وبين الدنيا اي الفقيد فتعد هاته الأخيرة صدقة

على روحه. كما يعاد تقديم القهوة والشاي والطعام في اليوم الثاني من العزاء في شكل إعادة إنتاج الطقس الجنائزي واستمراريته الرمزية.

ويقوم بعض الفئات بإعداد وجبات يحبها الفقيد في حياته، وكأنهم يكرمونه عبر ذوقه الشخصي، بل وتفسر نكهة الطعام تأويليا، فإذا جاء لذيذ ا قالوا إنه "جاء على قلبه" أي أن الميت قلبه أبيض وجميل وأن الفقيد ذو قلب طيب أما إذا كان الطعام باهتا فذلك أيضا يؤول على أن "قلب الميت خايب" في إسقاء إشباع إلى مؤشر رمزي لحالة الروح الميت على مذاق الطعام، هذا التفسير الذوقي يحول الأكل من مجرد الى مؤشر رمزي لحالة الروح.

أما صباح اليوم الثاني فتؤدى زيارة جماعية للقبر من طرف أهل الفقيد يقرأ فيها القرآن وترفع الأدعية. لكن الأهم رمزيا هو تشبيه هذه الزيارة بـ «المصابحة مع العرس فكما يزار العريس صباح عرسه للتهنية. يزار الميت في صباح دفته " ليسلم عليه" ويدعى له كأنما هو عريس أو عروس انتقل إلى الحياة الأخرى ويطلبون إليه الرحمة والمغفرة وحسن الدار هذه الصورة المجازية تحول الموت إلى انتقال مقدس، وتجعل من القبر محطة عبور لا نهاية، ويؤطر كل ذلك ضمن بنية ثقافية تعتبر الموت طقسا احتفاليا حزينا لا يخلو من رموز الحياة والفرح والتحول.

أما في اليوم الثالث. تحضّر وليمة وما تعرف بقصعة الفرقة ومن طبق تبسي معروف ومميز ويسمى بالمسفوف والمطبوخ من الكسكسي والسكر الناعم والتمر والمكسرات وبعض الفواكه كالرمان والعنب ويقدم مع الحليب، يقدم كوليمة ختامية، تعان بها نهاية الطقس الجنائزي. وتسمى بـ قصعة الفرقة تعبيرا عن انتهاء الطور الطقسي وتفكك الجماعة المؤقتة التي تشكلت حول الميت وهو ما يذكرنا بمفهوم إعادة الأدماج" في الطقوس الانتقالية.

كما أن الممارسات الرمزية اللافتة في المجتمع التبسي قيام أهل الفتيه ببناء قبره في اليوم السابع أو الأربعين من الوفاة في دلالة على استمرار الألم والحزن، وترسيخ ذكرى الفقيد في وجدان الجماعة. ولا يعد البناء مجرد إجراء مادي، بل يحمل دلالات رمزية قوية، فبناء القبر

بالرخام مثلا: يعبر عن مكانة الميت في قلوب ذويه، كما أن تخصيص يوم محدد للبناء يحوله إلى طقس مستقل يعيد حضور الفقيد من جديد ضمن سياق الذاكرة الجماعية القبر في هذه الرؤية ليس نهاية صامته. بل استمرار للصلة الروحية بين الحي والميت.

كما تكشف القراءة التأويلية للطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي عن نسيج رمزي متداخل تتجاوز فيه الأفعال ظاهرها العملي لتصبح وسائط تعيير عن القيم المشاعر والمعتقدات العميقة للجماعة. فكل ممارسة من إعداد الطعام إلى الزغاريد – إلى بناء القبر – تؤديه بلغة ثقافية خاصة، تجعل من الموت لحظة إعادة إنتاج للهوية الجماعية وتجديد للعلاقة مع المقدس. إن هذه المقاربة تظهر كيف تحول الثقافة الموت من حدث بيولوجي إلى تجربة اجتماعية مؤطرة بالرمز يتكثف فيها المعنى وتؤسس من خلالها الجماعة لسرديتها حول الحياة والغياب والعبور.

3-مقاربة طقوس العبور الجنائزية

تعد مقاربة طقوس العبور والتي قدمها الأنثربولوجي الفرنسي "ارنولد فان جينيب "(Arnold van geenp) من أبرز المقاربات التفسيرية في الأنتربولوجيا. خاصة في تحليل الطقوس ذات الطابع الانتقالي التي ترافق الفرد في لحظات التحول الكبرى في حياته كالميلاد، الزواج، الموت، وقد نشر فان جينيب كتابه المرجعي "طقوس العبور" سنة 1909، واضعا فيه تصور ثلاثيا لتحليل الطقوس يقوم على تقسيمها إلى ثلاث مراحل متعاقبة، مرحلة الفصل (Separation)، مرحلة الهامش أو الانتقال(marge) ، ومرحلة الإدماج (agregation) وهي مراحل تعكس الانتقال الرمزي من وضع اجتماعي إلى آخر داخل النسق الثقافي للمجتمع[1].

[1] – أرنولد فان جينيب، طقوس العبور ترجمة محمد الطاهر المنصوري: دار محمد علي للنشر، تونس، 2002، ص-ص 11-13.

وتكمن أهمية هذه المقاربة في قدرتها على تفكيك البنية الرمزية والاجتماعية للطقوس ليس فقط بوصفها ممارسات دينية أو شعائرية. بل كوسائط ثقافية تؤطر العلاقات بين الأفراد والمجتمع، وتضمن استمرارية النسق الاجتماعي. فقد اعتبر "فان جينيب" أن كل طقس عبور هو بمثابة "عملية انتقال رمزي" تمكن من إعادة إنتاج النظام الاجتماعي عبر تمرير الأفراد من حالة إلى أخرى في انسجام مع معايير الجماعة[1].

وفي سياق الطقوس الجنائزية بالمجتمع التبسي فإن اعتماد مقاربة طقوس العبور يفتح. المجال لفهم كيف يتعامل هذا المجتمع مع حدث الموت ليس فقط باعتباره نهاية بيولوجية بل كمرحلة انتقالية رمزية يعاد فيها تنظيم العلاقة بين الحي والمية. وبين الفرد والمجموعة، فالطقوس التي تم رصدها ميدانيا. مثل التحضيرات المسبقة للوفاة (كشراء الكفن وتجهيز الغسل والطعام) وطهي الأكل خارج المنزل لتجنب "النار في المنزل وذلك خوفا لحضرة الروح "تمثل شكلا من أشكال الفصل الرمزي بين الميت وعالم الأحياء. أي المرحلة الأولى من العبور.

كما أن ممارسات مثل "زيارة الميت" في اليوم الثاني، حيث يمثل الميت ك "عريس الآخرة" وتقديم الأطعمة التي كان يفضلها، والتي يفسر من مذاقها من منظور رضا الروح (جاء على قلبه) (قلبه خايب) تشير إلى مرحلة انتقالية رمزية يعيش فيها الفقيد وضعا غامضا بين العالمين، في ما يشبه "العتبة" كما فهمها فيكتور تورنر لاحقا.

أما في مرحلة الادماج – فتتجلى في طقوس مثل: "قصعة الفرقة" في اليوم الثالث التي تعتبر علامة على نهاية الحداد الجماعي، أو في "بناء القبر في اليوم السابع أو الأربعين" كنوع من تثبيت الذاكرة الجماعية للميت. وضمان استمرار رمزيته في الفضاء الاجتماعي وهو ما ينسجم مع المرحلة الثالثة في نموذج فان جينيب.

إن تحليل الطقوس الجنائزية وفق مقاربة طقوس العبور يسمح بإبراز كيفية التفاعل بين "الثبات الطقوسي" من جهة و"التحولات الاجتماعية والرمزية من جهد أخرى". مما يمكن من

[1]– أرنولد فان جينيب، المرجع السابق، ص–ص 24–25.

فهم أعمق لبنية الطقس ووظيفته في الحفاظ على النظام الاجتماعي وتوازنه في مجتمع مازال يشده الحنين إلى تقاليد رغم تأثيرات التحول الحديث[1].

المرحلة الأولى (الفصل)(séparation)

تعد مرحلة الفصل المرحلة الأولى في طقوس العبور حيث يفصل الفرد من وضعه الاجتماعي السابق. أي حياته الطبيعية بين الأحياء و يحضر وضعه الجديد ک "ميت" في هذه المرحلة تبدأ الطقوس التحضيرية التي تهدف إلى الفصل الرمزي بين الميت وعالم الأحياء مثل: شراء الكفن وإعداد مستلزمات الغسل وتعد هذه الاجراءات بمثابة طقوس متعلقة بالجسد تتجاوز الابعاد الفسيولوجية وتعيد من خلالها تنظيم العلاقة الاجتماعية للأفراد من الفقيد[2]

كما تم رصد ظاهرة تحضير الطعام والشراب وهو جزء من التحضيرات التي تهدف إلى إظهار حالة من الفصل بين الحياة والموت. ومن بين الطقوس الميدانية التي لاحظتها يتم اعداد الطعام خارج المنزل على اعتبار ان الروح لا تزال موجودة في المكان و هو ما يعكس الاعتقاد بان أي نشاط يقوم به الأحياء في تلك الفترة يجب ان يتم بعناية شديدة بعيدا عن الميت لكي لا تؤثر هذه الاعمال على روحه و تسبب ازعاجا لها ,تعتبر هذه الإجراءات رمزية للابتعاد عن الميت في لحظة انتقالية و تأكيد عاى انه في مرحلة أخرى من الوجود بعيدا عن التجمع الاجتماعي المعتاد[3].

المرحلة الثانية الهامشية أو الانتقال (Liminalité)

تعد المرحلة الثانية في طقوس العبور والتي عرفها فان جيبيب ب: "المرحلة الهامشية أو الانتقال". من أهم المراحل في تحليل الطقوس الانتقالية في هذه المرحلة ينتقل الأفراد من وضع اجتماعي إلى آخر حيث يكونون في حالة غامضة وغير مستقرة بين الحياة والموت. لا يكون

---

[1]– فيكتور تورتر، من الطقوس إلى المسرح، البنى الرمزية في المجتمع، ترجمة عبد الله الغذامي المركز الثقافي ناقي العربي العربي، بيروت، 2005، ص–ص 45–47.

[2]– فان جينيب، 1909، طقوس العبور ترجمة فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي، بيروت.

[3]– غوردنج، 2001، طقوس الفصل في المجتماعات التقليدية " دراسات في الأنثربولوجيا الثقافية، المجلد 3، العدد 1.

الشخص في هذه المرحلة حيا تماما ولا ميتا تماما، بل يعيش في حالة انتقالية بين الحالتين، وهي حالة يمكن أن تكون محملة بمعان ثقافية ودينية معقدة[1].

في سياق المجتمع التبسي. تتجلى هذه المرحلة من خلال الطقوس الرمزية التي تهدف إلى إعادة تنظيم العلاقة بين الأحياء والأموات. فعلى سبيل المثال "زيارة الميت" التي تتم في اليوم الثاني من الوفاة تظهر الميت في صورة "عريس الآخرة" وهي صورة رمزية تعكس الانتقال نحو حياة أخرى. هذه الطقوس لا تعتبر مجرد شعائر حزبية بل هي "عملية اجتماعية وثقافية" تهدف إلى "تأكيد العلاقة المستمرة بين الأحياء والميت" في العالم الرمزي[2].

كما تظهر المرحلة الانتقالية من خلال الطقوس التي تتعلق بـ: "الطعام المفضل للميت" فالمجتمع التبسي يؤمن بأن طعم الطعام الذي يعد خصيصا للميت، مثل الأطعمة التي كان يحبها مؤشرا لرضا الروح فمثلا إذا كان الطعام لذيذا يفسر على أنه دليل على رضا الميت أو الروح بينما إذا كان الطعم غير لذيذ فإنه يعتبر تعييرا من غضب الروح أو عدم رضاها. هذه الطقوس تمثل "علاقة تواصلية رمزية" بين الأحياءو الأموات حيث يحاول الاحياء التعبير عن احترامهم للميت والمحافظة على "الوجود الرمزي للميت في العالم الحي"[3].

تعتبر هذه الطقوس بمثابة إعادة بناء للهوية الاجتماعية في مرحلة الانتقال حيث لا يعود الفرد في هذه المرحلة إلى وضعه السابق كـ: "حي" تماما ولا يكتب وضعا اجتماعيا جديدا إلا بعد أن يمر عبر مرحلة الادماج التي تليها وبالتالي، فإن المرحلة الثانية تعد نقطة تحول حيث يتم فحص وتقييم العلاقة الاجتماعية بين الأفراد والميت في اطار الرمزية الثقافية والاجتماعية للمجتمع.

---

[1]– أرنولد فان جييب، طقوس العبور، ترجمة فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي، بيروت ، 1909.

[2]– فيكتور تورنر، الطريق الى الحدود الطقوس والهامشية ترجمة عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1982.

[3]– برونسيلاف مالينوفسكي، الطقوس الانتقالية في المجتمعات التقليدية، دراسات أنثربولوجية الثقافية، المجلد 7، 1974.

المرحلة الثالثة الادماج (Réintégration)

تمثل مرحلة الإدماج "المرحلة الأخيرة في طقوس العبور، وهي اللحظة التي يعود فيها (الفرد أو الجماعة) إلى النسق الاجتماعي. ولكن بوضع جديد مختلف تماما عن السابق في حالة الطقوس الجنائزية. يعاد إدماج الميت في العالم الرمزي للأموات بينما يعاد إدماج الأحياء في وضع اجتماعي جديد يخلو من الفقيد، مع إعادة توازن العلاقات الاجتماعية داخل الجماعة[1].

في المجتمع التبسي تتجلى هذه المرحلة من خلال طقوس اليوم الثالث حيث يتم تحضير ما يسمى ب"قصعة الفرقة" وهي طبق من المسفوف بالحليب. يقدم كرمز لختم طقوس الجنازة تعكس هذه الطقوس انتقال الجماعة من حالة الحداد إلى محاولة استعادة التوازن. ما يشير إلى أن الميت قد أدرج نهائيا في عالم الأموات. بينما تعود العائلة إلى حياتها اليومية[2].

كما يتم في اليوم السابع أو الأربعين "بناء القبر" بشكل نهائي. وهي ممارسة ميدانية تشير إلى تثبيت موقع الميت في الذاكرة الجماعية في كثير من الحالات. يبنى القبر بالرخام وهو مايرمز الى الاحتفاظ الرمزي بمكانة الفقيد الاجتماعية و التأكيد على استمرارية حضوره المعنوي ضمن الجماعة[3].

هذه الطقوس لا تمثل نهاية العلاقة مع الميت بل إعادة تنظيم العلاقة وفق أسس جديدة: لا على أساس التعايش، بل على أساس التذكر والوفاء الرمزي.

4-مقاربة التحول الاجتماعي للطقوس الجنائزية

تعد مقاربة التحول الاجتماعي من أبرز المداخل النظرية التي تساعد على فهم الديناميكيات التي تخترق الطقوس الجنائزية في المجتمعات التقليدية والمعاصرة. إذ تفترض

[1]- أرنولد فان جييب، طقوس العبور، ترجمة فؤاد زكريا، دار الكتاب العربي، بيروت، 1909.

[2]- ملاحظة ميدانية ضمن المجتمع التبسي 2025.

[3]- ملاحظة ميدانية ضمت المجتمع التبسي 2025.

هذه، المقاربة أن المجتمعات ليست كيانات ثابتة بل تخضع لتحولات مستمرة على مستوى القيم، والممارسات، والبنى الرمزية، بفعل عوامل داخلية (مثل التغيرات الاقتصادية والديموغرافية) أو خارجية (كالعولمة والهجرة ووسائل الإعلام)[1].

من هذا المنظور تفهم الطقوس الجنائزية بوصفها مرآة للتحول الاجتماعي. فهي تعكس التحولات التي تحدث داخل البنية الاجتماعية، سواء على مستوى التدين أو العلاقات القرابية، أو الرموز الجماعية المرتبطة بالموت في المجمع التبسي مثلا: رصدت تحولات واضحة في بعض جوانب الطقس، إذ باتت بعض العائلات تستعين بخدمات الغسل والتكفين من قبل مؤسسات خاصة بدل من أداء هذه المهمة داخل العائلة كما جرت العادة وهو ما يشير إلى تفكك نسبي في التضامن التقليدي لصالح حلول أكثر فردانية[2].

كما أظهرت الدراسة الميدانية أن بعض الطقوس القديمة بدأت تفقد معناها الرمزي أو تختصر لأسباب عملية أو اقتصادية: كالاكتفاء أحيانا بيوم واحد من العزاء بدل ثلاثة. أو الامتناع عن طقوس الزيارة الرمزية للميت عند فئات معينة من الشباب في المقابل ظهرت ممارسات جديدة مثل: استخدام مكبرات الصوت لقراءة القرآن أو نشر أخبار الوفاة على مواقع التواصل الاجتماعي، وتصوير الجنائز وإحضار مصور لتأريخ هذه الحادثة وتصوير الميت أثناء تشييع الجنازة وحتى عنه انزاله للقبر، ما يدل على تحول في أشكال التعبير الجنائزي وتداخل ما هو ديني وتقليدي مع ما هو حديث وتقتني[3].

ولا يعني أن هذا التحول يلغي الثبات كليا. بل إن بعض الطقوس تستمر ولو بشكل رمزي على سبيل المثال: "قصعة الفرقة" مازال تعد في اليوم الثالث لكنها أصبحت في بعض الأسر تأخذ طابعا احتفاليا أكثر من، طابعها الجنائزي هذه التغيرات تدل على ان الطقوس لا

---

[1]– آلان تورين، سوسيولوجيا الفعل، ترجمة غير متوفرة، منشورات سوي، باريس، 1965.

[2]– جورج بالانديه الأنثربولوجيا السياسية، دار النشر الجامعة الفرنسية (PUF)، باريس،، 1967.

[3]– منير الهادي، " التحولات الاجتماعية والطقوس الجنائزية مقاربة سوسيولوجية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 18، 2021.

تفهم فقط من زاوية المحافظة، بل يجب تحليلها كنتاج تفاعل مستمرين الثبات و التغيير بين التقليدية والمستحدث.

من هنا تسمح المقاربة التحول الاجتماعي لفهم الطقوس الجنائزية كتعبير عن توازنات المجتمع في كل مرحلة وتظهر كيف تعاد صياغة الرموز الجماعية بطريقة تحافظ على المعنى العام للطقس ولكن تعد له ليتماشى مع الشروط الجديدة للحياة الاجتماعية.

خلاصة:

تشكل المقاربات النظرية المعتدة في هذا الفصل مرتكزا ابستيمولوجيا لفهم الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي، حيث تتيح قراءة متعددة الأبعاد للظاهرة، فالمقاربة الوظيفية تكشف عن الأدوار الاجتماعية والدينية للطقوس في الحفاظ على التماسك والانسجام الجماعي، بينما تبرز المقاربة الرمزية التأويلية البعد المعنوي والرمزي للطقس بوصفه، حاملا لمعان ثقافية متجذرة في الذاكرة الجماعية، ومن جهتها توفر مقاربة طقوس العبور إطار الفهم المراحل الانتقالية التي يمر بها الفرد والجماعة عبر الطقس، باعتباره أداة لإعادة النظام الرمزي والاجتماعي، أما مقاربة التحول الاجتماعي، فتمكن من تتبع التغيرات التي طرأت على الطقوس في سياق التحولات السوسيومجالية والقيمية.

إن تكامل هذه المقاربات يسمح ببناء رؤية شمولية لا تقتصر على بعد واحد. بل تنفتح على تنوع زمني وسياقي يعكس الديناميكية الطقسية داخل المجتمع المحلي كما يبرز التوظيف التعددي لهذه الأطر كخيار منهجي ضروري في دراسة الطقوس باعتبارها ظواهر مركبة تجمع بين الوظيفية الرمز، البنية، التحول.

الفصل الثالث:

الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي

دراسة أنثربولوجية في أنماط الممارسة والتحول

تمهيد

1- لحظة الوفاة: البداية الرمزية للطقس الجنائزي.

2- الاستعدادات الجنائزية الأولى بين التقليد والضرورة الاجتماعية.

3- مراسم الغسل والتكفين: الطقوس الأولى للفصل من عالم الأحياء

4- مرحلة الصلاة على الجنازة: طقس العبور إلى العالم الأخير

5- مراسم الدفن: لحظة الوداع الأخير

6- الولائم الجنائزية بين الاستمرارية الرمزية والتحول الاجتماعي

7- استمرارية الطقوس وتحولها: ملاحظات ميدانية ختامية

خلاصة

تمهيد:

تعتبر الطقوس الجنائزية من أبرز الممارسات التي تعكس العادات والمعتقدات الثقافية والدينية في المجتمع التبسي، فهي تمثل لحظة فريدة في حياة الفرد والمجتمع، حيث يتم التعامل مع الموت باعتباره مرحلة انتقالية تتطلب مجموعة من الطقوس المنظمة التي تهدف إلى ضمان راحة الميت وتعزيز الروابط في الاجتماعية بين الأفراد وتأكيد مفاهيم الحياة والآخرة. ينظر إلى الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي على أنها أكثر من مجرد مجموعة من الإجراءات التقنية، فهي تمثل فعلا اجتماعيا دينيا يحمل في طياته معاني عميقة تتعلق بالروح والموت والحياة.

فالطقوس الجنائزية هي عملية جماعية تتناغم فيها الأبعاد الاجتماعية والدينية. حيث يقوم الأفراد بتقديم الدعم العاطفي والمعنوي لعائلة الفقيد. ويتشاركون في تقديم أعمال جماعية تهدف إلى تأكيد استمرار الروابط الاجتماعية بعد الموت. من خلال هذه الطقوس يتم تمثيل عملية العبور من عالم الأحياء إلى عالم الأموات. وهي عملية لا تقتصر على الفرد الميت فقط. بل تشمل أيضا الجماعة التي تعيش في ظل تفاعلات مستمرة مع الموت والموتى.

1-لحظة الوفاة البداية الرمزية للطقس الجنائزي

تعد لحظة الوفاة في المجتمع التبسي نقطة الانطلاق الأساسية لسلسلة الطقوس الجنائزية التي ترافق الفرد في عبوره من عالم الأحياء إلى عالم الأموات، فالوفاة لا تدرك بوصفها حدثا بيولوجيا بحتا، بل كواقعة اجتماعية وروحية تفتح المجال أمام طقوس تعيد ترتيب العلاقات الرمزية داخل الجماعة، وتؤسس لمسار الفقد والانفصال.

تنشأ في هذه اللحظة بداية تحولات هامة على المستوى الاجتماعي، حيث يندمج الأفراد في طقس الحزن الجماعي، ويعيدون تشكيل روابطهم داخل هذا السياق الجديد في المجتمع التبسي، تتجلى لحظة الوفاة في تفاصيل دقيقة تبدأ بتحديد كيفية الإعلان عن الخبر الذي عادة ما يتم عبر وسائل غير رسمية مثل إعلان النساء في الحي عن طريق الصيحات الدينية

والأذكار هذه الطريقة لا تقتصر على إخبار الآخرين بحدث الوفاة فحسب، بل يعتبر جزءاً من عملية تعبئة جماعية لاستحضار الوعي الجماعي، حيث يقوم الجميع بتجديد أدوارهم المستقبلية ضمن الطقوس التي تلي الوفاء. تجدر الإشارة إلى أن هذه الممارسات تساهم في بناء الاحساس بالوحدة والتضامن، مما يساعد على تجاوز الصدمة النفسية للوفاة.

عند إتمام الإعلان تبدأ أولى خطوات التحضير للطقس الجنائزي، حيث تخصص بعض النساء على وجه الخصوص للقيام بإجراءات الغسل والتكفين وهي مهمة تلقي اهتماما خاصا في المجتمع التبسي وتتم اختيار الاشخاص ذوي الخبرة سواء من الأفراد المقربين أو النساء المسنات التي تعيد معرفتهن بهذه الطقوس جزءا من قيم المجتمع. بالإضافة إلى الطقوس الدينية يتم التأكيد على ضرورة اتباع الأعراف المحلية التي تحدد شكل التكفين. واختيار ألوان الكفن والتأكد من التزامه ومقتضيات الشريعة.

ما يميز هذه اللحظة الرمزية ليس فقط إجراء الطقوس التي تتبع الوفاة ولكن أيضا الدور الذي تلعبه الجماعة في إعادة تشكيل علاقة الأفراد بالميت، إذ يتحول الميت من كونه فردا موجودا في سياق العلاقات اليومية إلى شخصية تمجد وتحترم وتصبح تلك اللحظة مناسبة لتأكيد العلاقات الأبدية التي تربط المجتمع به ،مهما كانت مسافة الزمن هذا التحول الرمزي يتم تقويته بالممارسات الطقسية مثل قراءة القرآن، والبكاء الجماعي، وإقامة صلاة الجنازة، وهي ممارسات تمثل نوعا من تكريس للذاكرة الجماعية للمجتمع التبسي. الذي يرى في الوفاة أكثر من مجرد حدث مادي بل هو بداية لتفاعل جديد بين الأحياء والأموات.

يلاحظ من خلال الميدان أن إعلان الوفاة يحدث حالة من الاستنفار الطقوسي حيث تسارع النساء لإخراج المواد المطهرة والحناء وملابس الكفن، كما يتم إشعال البخور وهي رموز تحمل في المخيال المحلي معاني الطهارة والتطهير من دنس الدنيا، ويلاحظ كذلك أن بعض العائلات خاصة في الأحياء العريقة تمتلك "علبة الغسل" الجاهزة دائما تحسبا للحظة الموت، وقد أفادت احدى المستجوبات في مقابلة ميدانية قائلة "نحن في دارنا مجهزين كل شيء الكفن

الحناء، حتى قطرة العطر لأن الموت كي يجي ميطقش الباب، وكل واحد لازم يدبر حساب هذا النهار فبالو"

هذا التصريح يجسد تصورا أنثربولوجيا للموت لا كحدث عارض أو كارثة، بل كواقعة محملة تنتمي إلى النسق الطبيعي للأشياءو تتطلب إعداد ماديا ورمزيا، وهذا ما يدفع البعض إلى القيام بتحضيرات مسبقة، مثل: تنظيف البيت، وإشغال البخور أو حتى ترتيب غرفة الاستقبال في حال قدوم العدادات أي النساء المختصات في البكاء الجماعي.

تظهر هذه الممارسات كيف أن لحظة الموت تحمل بطابع اجتماعي ضاغط، حيث لا تعاش بشكل فردي، بل تتحول إلى شأن جماعي تعيد فيه الجماعة تنظيم علاقاتها الرمزية وتفعيل طقوسها الجمعية فالموت لا يعلن فقط، بل يمارس ضمن إطار شعائري يعكس هوية الجماعة وتماسكها القيمي.

من جهة أخرى تشير هذه الملاحظات إلى أن لحظة الوفاة تعد لحظة إعادة تنظيم للزمن الاجتماعي، حيث ينقطع الزمن اليومي (الزمن العادي) ليبدأ زمن طقس خاص. يتم فيه تعليق بعض الأنشطة العادية واستدعاء الذاكرة الجمعية كما يتم تخصيص الحيز المكاني (الغرفة الساحة المنزل (الحوش)) لأداء طقوس خاصة تؤطر الحداد وتمنحه شكله الاجتماعي المقبول.

كما أن شهادة المبحوثة تكشف عن حضور قوي للبعد الرمزي في الممارسة، فالعطر والحناء لا يؤديان وظيفة جمالية فقط، بل ينظر اليهما كرمزين للتطهير الروحي وإعداد جسد الميت للقاء المحتوم، كما أن الغطاء الأبيض يرمز إلى النقاء والتجرد في انسجام مع المخيال الديني والاجتماعي المحلي.

من منظور أنثربولوجي، تنتمي هذه اللحظة إلى ما يسميه "أرنولد فان جينيب" بمرحلة الانفصال في طقوس العبور حيث يفصل الفرد عن الجماعة ويبدأ المرور إلى هوية جديدة وفقا للمقاربة الرمزية، فإن هذه الممارسات تمثل لغة رمزية للجماعة تعبر عن موقفها من الموت، وعن محولتها لاحتواء القلق الجماعي الناتج عن الفقد.

ويتحول المنزل من فضاء سكني إلى فضاء جنائزي في تلك اللحظة، تغلق النوافذ تطفأ الأضواء تنظف الغرفة المخصصة للغسل، ويبخر المكان كما تستدعي النساء العدادات للبكاء الجماعي الناتج عن اختلال التوازن الاجتماعي.

إن هذه اللحظة، بما تحمله من استعدادات رمزية وممارسات جماعية، لا تمثل فقط بداية جنازة، بل تشكل فعليا مدخلا لمجتمع صغير يدخل في زمن خاص هو "زمن الحداد " حيث تعلق العادات اليومية، وتفعل رموز الطقس ويتحول الميت من فرد إلى "رمز" يختفي بعبوره

2-الاستعدادات الجنائزية الأولى بين التقليد والضرورة الاجتماعية

بمجرد إعلان الوفاة داخل المجتمع التبسي تبدأ تحضيرات دقيقة وسريعة وتهدف إلى مرافقة المتوفى إلى مثواه الأخير بأعلى درجات الاحترام والالتزام بالعرف والدين وقد لاحظت من خلال المعايشة الميدانية والمقابلات مع مختلف الفاعلين الاجتماعيين أن لحظة الانتقال من الحياة إلى الموت تحفز حركة جماعية تقوم على توزيع أدوار واضحة بين أفراد العائلة والجيران والمعارف.

تبدأ هذه الاستعدادات بتجهيز مكان الغسل، وهو عادة غرفة في منزل العائلة. أو في بعض الحالات يتم الاستعانة بالمرافق الدينية المخصصة لذلك أو في المستشفى يحضر الماء الساخن،وأدوات التغسيل التقليدية مثل السدر،الكافور والأقمشة البيضاء النظيفة الخاصة بالكفن ففي ملاحظتي ظهر أن النساء يلعبن دورا أكبر في هذه، المرحلة خاصة النساء الكبيرات في السن. اللاتي ينظر إليهن باعتبارهن حافظات للأسرار الطقسية المتعلقة بالتعامل مع الجثمان.

إلى جانب ذلك تنشأ ورشة عمل جماعية "مجموعة تحضيرية" لإعداد مستلزمات الضيافة للمعزين، حيث يتم تجهيز القهوة والشاي وبعض الحلويات التقليدية مثل الشامية والقوفريط كما تحضر موائد الطعام التي غالبا ما تشمل أكلات رمزية مثل: الكسكس باللحم والزبيب وشورية الفريك، ويلاحظ هنا أن الطعام لا يقدم بوصفه خدمة ضيافة فقط بل يحمل بعدا رمزيا، إذ يعتبر وسيلة لطلب الرحمة للميت. ومشاركة الأحزان بشكل جماعي في بعض المقابلات،

أكدت النساء أن اعداد الطعام يوم الجنازة هو صدقة جارية تهدى لروح الفقيد، وهو ما يبرز كيف يمتزج الديني بالاجتماعي في هذه الطقوس.

علاوة على ذلك تبدأ العائلة في استقبال الوافدين، حيث يسود جو من الحزن الرسمي تختلط فيه الدموع بالدعوات بالرحمة للميت.

وتلاحظ بعض التصرفات الرمزية الخاصة مثل ارتداء الملابس الداكنة من قبل النساء وإزالة الزينة أو التحفظ عن بعض التصرفات الاجتماعية اليومية مثل: تشغيل الموسيقى أو التلفاز. بل في بعض الحالات لاحظت أن الجيران يشاركون العائلة حالة الحداد عبر الامتناع عن إقامة الاحتفالات والاعراس في حال تزامنت مع الفاجعة.

ما يميز هذه المرحلة هو أنها لا تخلو من بعض التوترات الاجتماعية التي تظهر أحيانا حول تفاصيل التحضير او ترتيب الأولويات، ولكن الطابع الغالب يبقى هو الشعور بالمسؤولية الجمعية مما يعزز روح التضامن والتكافل التي تعتبر من أبرز القيم الثقافية في المجتمع التبسي خلال لحظات الحزن الجماعي.

في مجرة لحظة الوفاة. يدخل البيت حالة من التغيرات السريعة تفضي إلى ما يشبه التحول الطقوس الذي يضع العائلة داخل دائرة الالتزام بالعرف والدين، ويدخلها في لحظة. انتقال رمزية ويلاحظ في الميدان أن مختلف العائلات التبسية تبادر بشكل شبه أوتوماتيكي إلى تنفيذ سلسلة من الإجراءات تعطي لحظة الموت خصوصية طقسية تحدد أدوار الأفراد وتعيد ترتيب المساحات والوظائف.

وتتمثل هذه الإجراءات في الغاء كل ما هو معاد عليه كما ذكرنا، كنزع الزينة اغلاق التلفاز الغاء المناسبات، ووضع الحصير والسجاد فوق أرضية البيت مع تهيئة مكان الغسل، وتحضير مستلزمات العزاء، وهو ما عبر عنه من قبل إحدى المبحوثات بقولها:

"الموت تقتدر على كل واحد وحاجة معروفة ماشي حاجة جديدة كل دار فيها ركن خاص بالغسل في الحياة يعني حتى الموت راح يكون كاين حتى ولو أن لم يكن على علم لكن يغسل

في الغرفة، والكسوة جاهزة، وذرك حتى اللي معندوش كسوة يروح للمسجد يعطوه. الكسوة تع الميت دون مقابل وحتى الماكلة أيضا راهي معروفه كسكس وجاري وسلاطة نحبوش نتحيرو ووقتها إلا اللي حاب حاجة أخرى".

وتشير هذه الافادة إلى بعد عرفي قوي يجعل الموت متوقعا ومدمجة سلفا في البناء التنظيمي للأسر، حيث يحول البيت الى فضاء طقوس يخضع القواعد السلوك الجمعي، وتهيأ بعض المواد مسبقا مثل "الحناء" الكافور الكسوة البيضاء" ماء الورد "السدرة، وهي رموز دينية وجمالية تستخدم لتغليف الجسد الميت. وتضفي عليه نوعا من الاحترام والاستعداد للعالم الآخر

كما يتم تهيئة المكان لاستقبال الزوار وتجهز القهوة والشاي وتطهى أكلات رمزية كالكسكسي باللحم والزبيب " و"الشوربة " وغيرها من التحضيرات بينما يتولى الرجال إعلان وفاة وإبلاغ الأقارب والعمل على أمور الدفن وتبدأ النساء العدة أي البكاء الجماعي و التعبير على الحزن بشكل تعبيري جماعي.

هذا التحول المنزلي بدخل الجماعة فيما يشبه اللحظة الهامشية " حسب مفهوم "أرنولد فان جينيب" حيث يتوقف الزمن العادي ويبدأ زمن الطقس فتعلق العادات اليومية ويعاد ترتيب الأدوار والمساحات بما يعد إنتاج تضامن الأسري والاجتماعي كما ان هذه الاستعدادات تظهر قوة التقليد في مواجهة الصدمة، وتؤدي وظيفة حماية نفسية للجماعة من خلال اللجوء الى ما هو معروف وموروث.

وفي سياق التحولات الحديثة داخل المجتمع التبسي، لوحظ أن عمليات الغسل والتكفين أصبحت تتم غالبا داخل مصلحة خاصة بالمستشفيات. حيث توفر هذه الأخيرة فضاءات مهيأة لهذا الغرض. بإشراق مغسلين معتمدين هذا التغير في مكان أداء الطقس أثر بشكل ملحوظ على أجوائه العامة. إذ أصبحت العملية تجري في إطار رسمي ومنظم. مما حد من المظاهر التقليدية للنحيب والعويل أثناء الغسل. وقد أفاد عدد من الاخباريين الذين تمت مقابلتهم أن انتقال الغسل إلى المستشفيات فرض طابعا من الصمت والخشوع القسري. نتيجة لضوابط

المكان واحترام النظام الداخلي. مما أسلهم في تحجيم التعبيرات الانفعالية التي كانت ترافق الغسل قديما حين كان يجرى في المنازل أو الساحات الخاصة "الحوش"

وهكذا أدى هذا التحول إلى إعادة تشكيل الطقس من خلال إضفاء طابع مؤسساتي عليه وتخفيف البعد العاطفي الجماعي لصالح ممارسة أكثر تحفظا واتزانا. وهو ما يمكن قراءته كمؤشر على التحولات الاجتماعية الأوسع التي تعرفها مدينة تبسة في تعاملها مع ظاهرة الموت.

ومن خلال المقابلات التي أجريت مع الاخباريين الذين حضروا عمليات غسل وتكفين تبين أن هذه المرحلة تحظى بمكانة خاصة لديهم، باعتبارها حقا للموتى وواجبا اجتماعيا لا يمكن التهاون فيه، بل يتعامل معه أفراد المجتمع بكثير من الجدية والرهبة. الغسل والتكفين بناء عليه ليس مجرد عمليات تقنية بل يمثلان طقس عبور مهيبا تيج للعائلة والمجتمع استعاب رحيل الفرد عنهم في إطار طقسي يعيد تأكيد قيم الطهارة الإحترام والرحمة التي تميز ثقافة الموت داجل المجتمع التبسي.

3-مراسم الغسل والتكفين الطقوس الأولى للفصل عن عالم الأحياء

تعد طقوس الغسل والتكفين أولى العمليات الرمزية الكبرى التي تشهدها الجنازة داجل المجتمع التبسي. حيث يتجسد الانتقال الفعلي للميت من حالة اجتماعية حية إلى حالة رمزية تخص العالم الآخر وقد لاحظت من خلال الملاحظة بالمعايشة والميدانية أن هذه الطقوس تتم وفق ترتيب دقيق يتسم بالرهبة والاحترام الشديد مع تداخل واضح بين ما هو ديني واجتماعي.

يوكل أمر الغسل الميت عادة إلى أشخاص ذوي خبرة مغسلين، وغالبا ما تكون نساء من كبار السن إن كانت المتوفاة امرأة ورجال كبار في حال إن المتوفى رجلا يتم الغسل باستخدام الماء الطاهر الدافئ مع "السدر" والكافور" وفق معتقدات محلية تعتبر أن (هذه المواد خصائص تطهيرية روحية، وخلال هذه العملية يحرص المغسلون على تغطية عورة الميت

تماما بقطعة قماش ولا يتم كشف الجسد إلا بالقدر الضروري في إشارة الاحترام الحياء حتى بعد الموت.

يرافق الغسل طقس تعبوي مميز حيث تتلو الحاضرات والحاضرون أدعية وتكبيرات شكل متقطع خلال المراحل المختلفة للغسل، مما يضفي على اللحظة أجواء روحانية عميقة. وقد لا حظت أن هذه الممارسات لا تؤدي وظيفة دينية فحسب بل تعبر عن احتضان جمالي للميت. وعن حماية رمزية له خلال عبوره الأول من الحياة إلى الموت.

بعد إتمام الغسل، يجفف جسد الميت بلطف وبمناشف تخص الميت، ثم يلف بكفن أبيض بسيط من ثلاث طبقات، يعقد بعناية في أماكن محددة كالرأس، الخصر والقدمين ومن المثير للاهتمام أن بعض العائلات خاصة بمدينة تبسة تحرص على أن يكون القماش الكفن قد يشترى مسبقا من قبل الشخص نفسه وهو على قيد الحياة، خاصة لدى كبار السن أو المرضى حيث يعتبرون الكفن تجهيزا من تجهيزات الآخرة وقد لاحظت أن بعض العائلات تحتفظ بالكفن في الخزانة الخاصة بهم أو بين طيات الملابس في مكان معلوم لأفراد الأسرة. وهو تقليد يعبر عن الاستعداد الرمزي لفكرة الموت باعتباره قدرا حتميا.

فالغسل قد رافقه تغير في أسلوب التفاعل الرمزي مع جسد الميت، فبينما كان الغسل داخل البيت طقسا مفتوحا على الحضور العاطفي لأفراد العائلة والجيران، أصبح يمارس في فضاء شبه مغلق، محدود الحضور ومنظم من قبل جهات مختصة، وقد علقت إحدى المستجوبات قائلة: "كي كانوا يغسلوه في الدار كل الناس تشارك، وكل واحد تقول كلمتها وتبكي، أما في السبيطار كل شئ ساكت، وكل وشي يمشي بسرعة"

يبرز من خلال ذلك أن الغسل والتكفين ليس مجرد إجراءات جسدية بل يمثلان طقس شعائري يعيد ضبط العلاقة بين الحي والميت، ويمنح العائلة فرصة أولى للتعبير عن الفقد ضمن إطار جماعي، ففي شهادة لإخباري آخر قال: " الغسل هو اول مرة نحسو بلي راهو

راح كأنو بداية وداع رسمي، لذلك كل شي يندار فيه لازم يكون باحترام وكأنك تهدر مع الروح تاعو".

من هذا المنظور، يفهم طقس الغسل باعتباره لحظة محورية داخل البنية الطقسية للموت، حيث تعاد صياغة الرمزية الاجتماعية للفقيد، فإعداده للمغادرة الجسدية يترافق مع احاطته بالرحمة و تكريمه بالطهارة و سترته بأقمشة بيضاء لا تفرق بين غني و فقير ، صغير او كبير، إنها لحظة توحيد رمزي تعيد إبراز قيم الإحترام، الطهارة السكينة، التي تمثل جوهر النظرة المحلية للموت بوصفه انتقالا لا فناء.

4-مرحلة الصلاة على الجنازة: طقس العبور إلى العالم الأخر

بعد إتمام الغسل والتكفين ينقل الجثمان الى المسجد حيث يؤدي ذو الفقيد والمشيعون صلاة الجنازة قبل التوجه الى المقبرة، وفي مدينة تبسة غالبا ما تؤدى هذه الصلاة عقب صلاة الظهر او العصر، باعتبارهما أوقات تجمع المصليين وتسيير الحضور أكبر عدد ممكن من الاهل والجيران، أما إذا حدثت الوفاة بعد فوات الوقييت فإن الصلاة تقام مباشر في فضاء المقبرة قبل الدفن، مراعات لاحكام الدفن السريع واحتراما لحرمة الميت.

ويجهز الميت ويوضع اتجاه القبلة ملفوفا بكفنه الأبيض على نعش مغطى بغطاء مزخرف بآيات قرآنية ويقف الامام امام الجثمان مرددا أربع تكبيرات تتخللها الأدعية المأثورة ومنها: " اللهم اغفر له وارحمه وعاف واعف عنه، وأكرم نزله ووسع مدخله، واغسله بماء الثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس" ثم يختم بالدعاء للميت وسائر المسلمين.

ويستند في أداء الصلاة الجنازة إلى السنة النبوية التي رغبت في اتباع الجنائز والصلاة عليها لما في ذلك من اجر عظيم، إذا قال النبي صلى الله عليه وسلم " من شهد الجنازة حتى

يصلى عليها فله قيراط، ومن شهدها حتى تدفن فله قيراطان قيل: وما القيراطان؟ قال: "مثل الجبلين العظيمين" (رواه البخاري)[1].

تحمل صلاة الجنازة دلالات دينية عميقة اذ تعد واجبا كفائيا في الشريعة الإسلامية تؤدى طلبا للرحمة للميت، وشهادة له بالأمان كما تعكس في النسق المحلي التبسي احساسا جماعيا بالمسؤولية الدينية والاجتماعية تجاه الفقيد.

ومن خلال الملاحظة الميدانية (المعايشة) لوحظ ان الإلتزام بحضور صلاة الجنازة لا يزال قويا في مدينة تبسة، اذ يعتبر التخلي عنها سلوكا غير لائق اجتماعيا ودينيا وتسود اللحظة أجواء من الخشوع والحزن، يعبر فيها المشيعون عن وعيهم العميق بفناءالحياة واستحضارهم لقيم الأخرة.

وتعد الصلاة على الجنازة في المجتمع التبسي من المحطات الجوهرية في مسار الطقس الجنائزي، اذ شكل الحد الفاصل بين الحياة الأرضية للميت وبداية عبوره الرمزي الى عالم الأخر ويلاحظ ان هذه المرحلة تحاط بهالة من التقديس والهيبة حيث تقام عادة إما في المسجد المركزي أو مباشرة بساحة المقبرة، حسب توقيت الدفن وعدد الحضور.

كما أن من الملاحظات الميدانية وعلى قول أحد المشايخ الذين أجريت معهم المقابلة "صلاة الجنازة هي لحظة مفصلية، فيها نودع الميت رسميا ونطلب له الرحمة، هي كالجواز للآخرة. وإلا بقي معلقا ".

هذا التصور الشعبي يبرز وظيفة الصلاة كبوابة رمزية للعبور وليس فقط كأداء ديني شكلي كما لاحظنا تكرار قول بعض الأهالي عند كثافة الحضور.

"صلى عليه جمع كبير. . . . ربي يجعلها ساعة خير عليه"

[1]– البخاري، صحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، 1442، كتاب الجنائز، باب فضل من شهد الجنازة، باب فضل من شهد الجنازة، حديث رقم 1325.

ما يعكس تصورا محليا يربط بين عدد المصلين ومكانه الميت " لدى الله، وكأن الصلاة الجماعية تمنح المتوفى نوعا من القبول الرمزي والروحي في العالم الآخر.

من جهة أخرى، لوحظ أن النساء لا يحضرن غالبا هذه الصلاة، إن تقتصر على الرجال في الغالب وهذا ما يفسر بتمثل ديني واجتماعي يجعل من الرجل لاسيما الامام، الوسيط الطقس للعبور ومع ذلك ترسل النساء ودعواتهن من البيوت ويقمن بقراءات الأدعية والقرآن ما يعكس مشاركة غير مباشرة في عملية العبور.

كل هذه الممارسات والمقولات تشير إلى أن مرحلة الصلاة، مرحلة الصلاة على الجنازة في السياق التبسي ليس مجرد طقس عابر، بل تجسد تكوينا رمزيا واجتماعيا للميت ک "عابر" الى ضفة أخرى ويعاد إنتاج مكانته الاجتماعية حتى بعد وفاته عبر مظاهر الحضور الدعاء. والتعبير الجماعي عن الحزن والدعاء.

5-مراسيم الدفن لحظة الوداع الأخير

بعد أداء صلاة الجنازة ينقل الميت في موكب جنائزي مهيب إلى المقبرة، حيث يرافقه أفراد العائلة والجيران، وتخيم على الأجواء مشاعر الحزن والسكينة، يشير الحضور إلى تماسك المجتمع في هذا الطقس، حيث يتجمع الجميع في مشهد جماعي يعكس الروابط الانسانية القوية بين أفراد المجتمع في مدينة تبسة يتم حمل الجثمان بعناية على أكتاف الأقارب وهو ما يعكس الاحترام العميق والتكريم للمتوفى ويعتبر بمثابة عبور للميت نحو مكانه الأخير تعد هذه اللحظة واحدة من أكثر اللحظات تأثيرا في الطقوس الجنائزية حيث يعبر كل فرد عن وداعه الرمزي للميت.

عند وصول الموكب الى المقبرة يسجى الجثمان بالقرب من القبر حيث يتم توجيه رأسه إلى القبلة وفقا للتقاليد الدينية التي يعتقد أنه يسير نحوها بعد موته، وفي المقبرة تساهم العائلة وبعض المشيعين في وضع الجثمان داخل القبر، بينما يحرص الجميع على تغطيته التراب بشكل تدريجي في عملية تجمع بين الحزن والتوديع الرمزي، وتعتبر هذه اللحظة لحظة محورية

بالنسبة للميت وأسرته، حيث يطلق المجتمع العنان لطاقات الحزن ولكن في الوقت نفسه يظهر الجميع احتراما لما هو مقدس في طقوس الموت.

ومن الناحية الرمزية. يعتبر تغطية الجثمان بالتراب تعبيرا عن الفناء والانتهاء ولكنه أيضا يرمز إلى العودة الى الارض التي هي مصدر الحياة الأولى، في هذه اللحظة ينقطع الحضور عن عالم الأحياء، ويعبرون عن فقدهم النهائي للميت مع التذكير بمصير الجميع في النهاية، وفي لحظة الدفن تنبثق فكرة عميقة عن أصل الإنسان حيث قال الله تعالى: (منها خلَقْنَاكُمْ وفيها نعيدكم [1]» سورة طه الأية 55.

وفي نهاية مراسم الدفن يجتمع الحاضرون حول القبر لقراءة بعض الأدعية المخصصة للميت مثل:الفاتحة وسورة الإخلاص لتدعيم فكرة استمرار الدعاء للميت بعد موته وابقائه جزءا من الحياة الروحية للمجتمع كما أن هناك جوانب رمزية أخرى تخص مقابر، ففي تبسة يلاحظ ان بعض العائلات خاصة تلك التي تعتبر "ولاد البلاد".

السكان الأصليين يدفنون أبناءهم وأهاليهم في مقبرة تاغدة، بينما هناك عائلات أخرى تفضل، دفن موتاهم في مقابر ترتبط بعروشهم مثل "مقبرة سيدي خريف" التي تعتبر مكان دفن أفراد عائلة الدرارجة "بني دراج" هذه التفضيلات تعكس التقاليد الاجتماعية والرمزية التي تمنح المقابر دلالات ثقافية ودينية تتعلق بالهوية العائلية والجغرافية ولا تزال هذه الأخيرة الى يومنا هذا وهي دلالة على كنية وتأصيل الميت وانتسابه لمدينة تبسة.

وقد ثبت في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال:

"إذا دفنتم الميت فأحسنوا اليه فإنه يسمع صوته"

[1] – القران الكريم سورة طه الأية 55.

البخاري، الصحيح البخاري، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة 1، 1422، كتاب الجنائز --- كيف يدفن الميت حديث رقم 1338.

تقول إحدى النساء في مقابلة ميدانية: "كي يهبطوه لتحت هذيك هي اللحظة اللي يحسو فيها بلي خلاص، ما بقاش معانا، راح للأبد".

وتعتبر لحظة رمي الحفنات الثلاث فوق القبر فعلا رمزيا بالغ الدلالة، يشارك فيه الحضور فردا فردا. كنوع من التوديع الرسمي والشخصي في آن وغالبا ما يرفق هذا الفعل بذكر آيات وقد صرح أحد الرجال: كل حفنة تراب نحطها نحس روحي نقول للميت سامحني ونطلب ربي يرحمو.. . هي ساعة وداع بصح فيها خشوع ما يتعاودش"

كما يلاحظ أن الحزن في هذه اللحظة يأخذ شكله الأقصى حيث تتعالى أصوات النحيب خاصة النساء الواقفات على حافة المقبرة او على بعد غير أن هذا البكاء رغم شدته، لا ينظر اليه على انه ضعف أو اعتراض على قضاء الله بل يفهم في المخيال الجمعي كطريقة لإفراغ الغصة " وتخفيف وطأة الفقد" وقد عبرت إحدى "العدادات". وهن النساء المتخصصات في البكاء عن ذلك بقولها، "نحن مانبكوش كفر، نبكو باش نعاونوا أهل الميت يفرغوا قلبهم كي سمعونا يبكو معانا ويخرجو الغصة الي في قلبهم".

في هذا السياق تأخذ مراسم الدفن معنى مزدوجا: وهي من جهة اللحظة الأخيرة للميت في المجال الدنيوي الملموس، ومن جهة أخرى اللحظة الأولى له في المجال الرمزي الأخروي وهكذا يختتم الطقس بما يشبه ختما اجتماعيا وروحيا على مسار الحياة الأرضية إيذانا ببداية طور جديد في التصور الثقافي المحلي، طورين فيه حضور الميت في الذاكرة والوجدان بدل الجسد والمكان.

6-الولائم الجنائزية بين الاستمرارية الرمزية والتحول الاجتماعي

تعد الولائم الجنائزية في المجتمع التبسي طقسا اجتماعيا متجدرا يجمع بين الوظيفية الرمزية والاجتماعية والدينية. فقد لاحظت من خلال الملاحظة بالمعايشة أن العائلات تبادر مباشرة بعد الدفن إلى تنظيم مأدبات طعام واسعة تستهدف اكرام الحضور، وهي ممارسة ذات دلالات مركبة حيث تختلط مشاعر الحزن لأبعاد التكافل والتلاحم الجماعي.

يتم إعداد أطباق تقليدية متنوعة في هذه المناسبة، منها الكسكس باللحم والزبيب شورية الفريك، أنواع من السلاطة إلى جانب الفواكه والمشروبات الغازية وتقدم في المساء القهوة مصحوبة ب: الشامية والتمور والقوفريط، وهناك عائلات تضيف الى هذه الأخيرة حلويات شعبية ك: المقروض، ويعكس هذا الكرم في الضيافة قيم الضمان الاجتماعي والتضامن حيث يشارك أفراد المجتمع العائلة المفجوعة في مصابها مما يخفف وطأة الفقد ويؤسس لشبكة ودعم رمزية قوية.

أما في مناسبة الأربعين فتطور الولائم الى مستوى احتفالية أوسع، حيث تقوم بعض العائلات بدعوة الأقارب والجيران ثانية، وتحضير وجبات أكثر تنوعا مثل الدجاج المحمر الشخشوخة بأنواعها، والسلاطات الغنية، كما يتم استدعاء ودعوة الأقارب والأهل والأصدقاء والجيران لإحياء ذكرى الأربعين للميت، وفي هذا السياق لوحظ ظهور ممارسة جديدة تمثلت في استقدام بعض العائلات لمصور خاص يقوم بتوثيق مراسم الجنازة مثل: ترديده لسؤال المغرين: ماذا تتمنى للميت؟ ما قرابتك بالميت، الميت سيرته وتواصله معك جيد وغيرها وتصوير موكب تشييع الجثمان ولحظات الدفن كنوع من الحفاظ على الذاكرة الجماعية للعائلة وإرسالها لأفراد العائلة المغتربين.

ويعكس هذا التوثيق تحولا في التعامل مع الموت من حيث كونه مناسبة للذكرى والاحتفاظ بصور حية لأخر اللحظات، وهو أمر لم يكن مألوفا سابقا في الثقافة المحلية، وعلى الرغم أن من أبعاد هذا التحول الرمزية. إلا أن بعض شرائح المجتمع عبرت عن استغرابها أو تحفظها إزاء هذا السلوك. معتبرة أن الجنازة مقامها الحزن والدعاء وليس التوثيق البصري

وهكذا في الولائم الجنائزية في مدينة تبسة تمثل حالة أنثربولوجية غنية، تبرز كيف تظل الطقوس التقليدية محافظة على بنيتها الرمزية رغم التغيرات الطفيفة التي فرضتها التحولات الاجتماعية الحديثة.

فالولائم الجنائزية من أكثر الطقوس ثباتا واستمرارية في المجتمع التبسي، إلا أنها في الوقت نفسه عرفت تحولات في الشكل والدلالة ما يجعلها طقسا يجسد العلاقة المعقدة بين المحافظة والتغيير، فهي من جهة تمارس باسم الرحمة والصدقة والدعاء للميت ومن جهة أخرى أصبحت مجالا للتعبيرات اجتماعية جديدة مرتبطة بالتكافل المظهر وحتى التنافس الرمزي. تقول إحدى النساء في المقابلة: "منطيبوش في الدار والميت مزال فيها، باش بعد مترجعش روحو دور فدار".

وأيضا عبر إحدى الاخباريين حول الطعام قائلا: "كي يكون الكسكسي والماكلة بنينة في غداء الدفينة نقولو راه قلبو كان مليح وراهو فرحان كي راح يقابل مولاه، أما إذا ما جاتش الماكلة بنينة راو قلبو كان خايب وكي مات خايف لمقابلة ربي من قلبو.

فالليلة الأولى تشهد أيضا بعض التجمعات حين يقرأ القرآن من طرف الأئمة والطلبة وفي بعض الحالات تدوم القراءة الليل أكمله وهو ما يعد حماية رمزية للميت وتثبيتا له قبره "كما يقال محليا"

أما في اليوم الثاني، فتحضر أطباق أخرى، وقد تتنوع حسب العائلة ومستواها الاجتماعي حيث ظهرت أطباق جديدة "فاخرة" أو غير معتادة في الجنائز ما يدل على تحول في الوظيفة الرمزية للوليمة من مجرد صدقة إلى علامة على الكرم الشرف، وحتى المكانة الاجتماعية

وفي اليوم الثالث تعد قصعة الفرقة وهي طبق من المسفوف بالفواكه الجافة والرمان والعنب والحليب يمثل اختتام سلسلة الولائم ويوزع على الحاضرين باعتباره رمز الانتقال النهائي للميت إلى العالم الآخر وتفريق للجماعة التي اجتمعت حوله. تقول إحدى المبحوثات، "قصعة الفرقة هي التي تفرق الناس، وتخلي الحزن يهدأ شوي، وهنا يقولو الميت روح بسلام.

- ورغم هذا الثبات النبسي، إلا أن الطقس عرف تحولات لا فتنة من بينها:
- الاعتماد على المطاعم وشراء الدجاج المحمر" بدل طبخ أهل البيت أو إحظار الطابخين.

- استخدام وسائل التواصل الاجتماعي للدعوة للولائم أو لنشر صورها.
- ظهور تقييمات وانتقادات ضمنية حول نوعية الطعام وتقديمه.

ما يظهر أن الطقس لم يعد يمارس فقط بوصفه واجبا دينيا أو اجتماعيا، بل أصبح أيضا "مرآة رمزية" لمكانة العائلة في المجتمع، وتحولا من طقس تضامني إلى ممارسة ذات أبعاد استعراضية أحيانا.

7- استمرارية الطقوس ونحوها، ملاحظات ميدانية ختامية.

لقد شكلت الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي، عبر الأزمان، سلسلة من الممارسات الثقافية التي تعكس صورة عميقة لثقافة المجتمع وارتباطه بالجوانب الرمزية والدينية رغم التغيرات الكبيرة التي عرفتها هذه الطقوس نتيجة للعديد من العوامل الاجتماعية والاقتصادية.

فقد بقيت بعض الطقوس راسخة في الذاكرة الجماعية للمجتمع، مما يعكس استمراريتها. في ظل التحولات المستمرة، تستمر هذه الطقوس في نقل معان رمزية وتاريخية عميقة بالنسبة للمجتمع التبسي. وتجسد مجموعة من الممارسات التي لها دلالات اجتماعية ودينية قوية.

الاستمرارية في الطقوس الجنائزية: من خلال الملاحظات الميدانية التي تم جمعها يمكن القول إن الاستمرارية في الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي تتجسد بشكل رئيسي في الطقوس ذات الصلة بالغسل التكفين الصلاة على الميت مراسم الدفن.

تظل هذه الطقوس ثابتة، رغم التطورات الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة في حالات كثيرة، تظل الممارسات التقليدية سائدة، حيث يتم غسل الميت في بيوت لبعض عائلات حسب الطقوس التقليدية، وتكفينه في أكفان بيضاء. ويصلى عليه في المساجد في أوقات محددة لاسيما صلاة الظهر والعصر.

التحولات في الطقوس الجنائزية: على الرغم من أن بعض الطقوس تبقى مستمرة إلا أن التحولات تكون واضحة في جوانب أخرى من الطقوس الجنائزية على سبيل المثال: تغير مكان الغسل والتكفين حيث تم استبدال الغسل والتكفين في المنازل إلى المستشفيات في العديد من

الحالات. حيث تجرى هذه الطقوس في بيئة طبية. وقد كان لهذا التحول تأثير في الطريقة التي يتم بها التعامل مع الموت، حيث بات هناك تأكيد أكبر على الجانب الصحي والطبي في التعامل مع الجثث، مقارنة بالجانب الرمزي الذي كان له حضور أقوى في الماضي.

كما أن بعض الطقوس المرتبطة بالولائم الجنائزية قد شهدت تغيرات هامة، على الرغم من أن المجتمع التبسي ما زال يقيم الولائم بعد الجنازات الا أن هناك تحولا في الأصناف الغذائية المقدمة، حيث أصبحت الأطعمة التي يتم تحضيرها في هذه المناسبات أكثر تنوعا، حيث يمكن أن تشمل الدجاج المحمر، الكسكس باللحم والزبيب الشخشوخة الحلويات.. . . هذا التحول يعكس تأثر المجتمع بالتغييرات الاجتماعية والاقتصادية.

وقد عبر أحد المبحوثين عن ذلك بقوله زمان كنا نغسلو الميت في الدار اليوم بزاف ناس. يجيبوه للجامع أو يخلوه للغسال وحتى العشاء يجيبوه جاهز والناس ولات تعزي "بالفايسبوك"

كما صرحت إحدى النساء: "مازلنا نطيبو قصعة الفراق ويوزعوها لكن صار فيها تغيير كل مرة واحد يجيبها، واللمة نقصت شوية، والي يجي يدي طياب الدار وميمشيش للقبر هذا التفاوت بين الاجيال، والاختلاف بين الأحياء، يظهر ان الطقوس الجنائزية اليوم لم تعد موحدة تماما كما كانت بل باتت تخضع لمنطق الانتقاء وإعاده التأويل، فالتمسك بالرموز الدينية يظل حاضر بقوه. لكنه يندمج تدريجيا مع أشكال حديثة من التنظيم والتدبير.

إن هذا الواقع المزدوج الثبات في الهيكل والتغير في التفاصيل يشير إلى أن الطقوس لم تفقد معناها، بل أعادت تشكيله وفق منطق اجتماعي متجددة وهي من جهة تظل". "جسرا" يتيح للمجتمع التعبير عن الحزن والرحمة والانتقال ومن جهة أخرى تظهر كيف أن هذا التعبير يتأقلم مع التحولات التكنولوجية الاقتصادية حتى السياسية

بناء عليه، فإن استمرارية الطقوس لا تعنى الجمود، كما أن تحولاتها تعني القطيعة بل نحن ةأمام نمط مرن من التفاوض الرمزي مع الموت. يعبر من خلاله الأفراد عن انتمائهم للمجموعة، ووعيهم بالزمن، وتفاعلهم مع المستجدات.

خلاصة

كشفت المعاينة الميدانية للطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي من بناء عن رمزي مركب تتداخل فيه الأبعاد الدينية والاجتماعية و الخيالية ضمن سيرورة طقسية تنظم الانتقال من عالم الأحياء الى عالم الموتى، وقد أظهرت الدراسة ان هذه الطقوس رغم ما يشوبها من تحولات لا تزال تحتفظ بقدر كبير من الانساق الداخلي والقدرة على التعبير عن حاجات المجتمع في مواجهة الموت، من خلال آليات جماعية للتماسك التألم.

من خلال تتبع المراحل المتسلسلة. من الاحتضار إلى الغسل، فالصلاة ثم الدفن والولائم وما بعدها، تبين أن المجتمع المحلي بعيد إنتاج هذه الممارسات وفق منطق مزدوج يجمع بين الوفاء للتقاليد والانفتاح على المعاصرة، وهوما يفتح المجال لقراءة الطقوس باعتبارها ساحة دينامية لتفاعل الثابت والمتغير.

كما سمحت المقابلات والملاحظات بالمعياشة بتبيان الفوارق بين الأجيال والطبقات وحتى الأحياء، مما يجعل التحليل في الفصل المقبل ينصب على هذا الجانب تحديدا.

وعليه فإن الطقوس الجنائزية لا تختزل في بعدها الديني أو الوظيفي فقط، بل تشكيل وجهازا ثقافيا نشطا، يعكس القيم الهويات والخيال الجمعي، وهي بذلك تظل مجالا خصبا للبحث الأنثربولوجي في علاقتها بالموت المقدسة والتحول الاجتماعي.

الفصل الرابع:

الثابت والمتحول في الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي

تمهيد

1-الثابت في الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي

1-1-طقوس الاحتضار وتلقين الشهادة

1-2-الغسل والتكفين

1-3-خروج الجثمان من البيت: لحظة عبور زمنية

1-4-صلاة الجنازة: تكثيف رمزي للجماعة والدعاء العابر للحدود

1-5- طقوس الدفن التشيع الأخير والعبور نحو الأرض

1-6-طقوس الذاكرة الجماعية وإعادة التوازن الاجتماعي.

1-7-طقوس اليوم السابع واليوم الأربعين، تثبيت الذاكرة وترسيخ الحداد

2- التحولات في الطقوس الجنائزية نحو إعادة تشكيل المهنة العاملة

2-1-اختصار فترة العزاء

2-2-ظهور الخدمات الجنائزية والمؤسسات الخاصة

2-3-استخدام وسائل التواصل الاجتماعي

2-4-تراجع بعض الطقوس الرمزية زيارة الميت

2-5-تأويلات جديدة للعلامات ودلالات (الرضا، الغضب)

2-6-قراءة تحليلية في مضمون المقابلات

خلاصة

مقدمة الفصل:

تعد الطقوس الجنائزية من أكثر الطقوس التي تحتفظ بقدراتها على التعبير عن البنية الرمزية والثقافية للمجتمعات. حيث تمثل لحظة حرجة لا يواجه فيها المجتمع فقط فقدان أحد أفراده. بل يعاد فيها أيضا إنتاج النظام الرمزي والاجتماعي للجماعة في هذا السياق، يشكل هذا الفصل مظاهر الثبات والتحول التي تطبع مختلف مراحلها وممارستها. وهو ما يسمح بفهم أعمق للعلاقة المعقدة بين استمرار التقاليد من جهة أخرى وبين تأقلمها أو تبدلها بفعل التحولات الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى.

فالطقوس ليست مجرد شكليات دينية أو اجتماعية. بل هي تعبيرات عن تصورات الناس للموت للحياة، وللعلاقة بين الذاكرة والاستمرارية. لذلك، فإن تحليل، الطقوس الجنائزية في ضوء الملاحظة الميدانية لا يقتصر فقط على رصد ما يمارس وإنما يمتد لفهم ما يعاد إنتاجه من خلال هذه الممارسات من معان، ورموز وأدوار اجتماعية ومواقف اجتماعية تجاه التحول.

إن المجتمع التبسي بما يحمله بخصوصيات ثقافية، ومن موقعه كفضاء قروي تقليدي يعرف انفتاحا تدريجيا على متغيرات العصر. يشكل نموذجا خصبا لتحليل هذه الديناميكيات. إذ تظهر الطقوس الجنائزية كمرآة تعكس تعايش القيم الموروثة مع الممارسات المستحدثة. في سياق من التفاوض الرمزي المستمر بين الأجيال، وبين ما يعتبر واجبا مقدسا وما ينظر إليه ك " طقس قابل للتكييف"

وعليه يقسم هذا الفصل إلى قسمين أساسيين الأول يعني برصد الثوابت التي ما تزال تمارس في الطقوس الجنائزية وتحافظ على معانيها، والثاني يعالج مظاهر التحول التي طرأت على هذه الطقوس بفعل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والتكنولوجية. كما يختم الفصل بابراز كيف تتفاعل هذه الثوابت والمتغيرات ضمن منطق الطقس ذاته، كألية اجتماعية التعاون لتجاوز الموت وضمان استمرارية المعنى داخل الجماعة.

1-الثوابت في الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي.

رغم التحولات الاجتماعية والثقافية التي عرفها المجتمع التبسي لا تزال بعض الطقوس الجنائزية تحتفظ بثباتها النسقي والمعنوي. وهو ما يعكس قوة المرجعيات الدينية والعرفية التي تؤطر سلوك الأفراد والجماعة عند الموت. هذه الثوابت تشكل قاعدة رمزية واجتماعية تعيد إنتاج النظام الاجتماعي عن كل وفاة، وتضمن تماسك الجماعة واستمرارية تصور ما حول الموت والآخرة.

1-1 طقوس الاحتضار وتلقين الشهادة

الاستعداد الرمزي لعبور العتبة:

تمثل لحظة الاحتضار في المجتمع التبسي لحظة مفصلية تفعل فيها جملة من الطقوس ذات الطابع الديني والوجداني. وتحاط هذه اللحظة بجو خاص من الهيبة والسكينة باعتبارها العتبة الرمزية الفاصلة بين عالم الأحياء وعالم الأموات، وتستحضر في هذه المرحلة جملة من الممارسات التي تهدف إلى تهيئة الروح والجسد للعبور السلمي نحو الموت.

في الدراسة الميدانية رصدت عادة التجمع العائلي حول المحتضر حيث يسود صمت مهيب مرفق بتلاوة القرآن، وأهمها سورة "يس" المعروفة في الموروث المحلي بأنها سورة المحتضر. لما تحمله من دلالات على الرحمة وتيسير العبور وتبرز هنا ممارسة تلقين الشهادة حيث يتولى أحد الأقارب عادة الابن أو إمام محلي ترديد عبارة: " قل لا إله إلا الله" في أذن المحتضر بلطف بهدف تثبيته على الإيمان في لحظاته الأخيرة، وتدل هذه الممارسة على تصور راسخ في المخيال التبسي بأن خاتمة الإنسان تحدد مصيره

من بين ما وثقته الدراسة كذلك قيام بعض العائلات بتهيئة الكفن ومستلزمات الغسل قبل الوفاة. في سلوك يعبر عن وعي متقدم بالموت كحدث محتوم يجب الاستعداد له. وينظر إليه في بعض المناطق ك: "عرس آخروي " يحضر له مثل ما يحضر للعرس الدنيوي

في ضوء مقاربة طقوس العبور الأرنولدفان جينيب (Vam grmmep) يمكن تصنيف لحظة الاحتضار ضمن مرحلة الفصل حيث يبدأ الميت في الانفصال الرمزي من المجتمع الأحيائي، تلقين الشهادة يعد أداة رمزية لتثبيت الهوية الدينية في لحظة انتقالية. كما أنه يمثل تجسيد لتداخل المقدس بالحميمي. إذ تشارك الجماعة في لحظة عبور خاصة تظهر تماسكا اجتماعيا، وظيفيا لكن ما يلفت الانتباه هو أن بعض هذه الطقوس بدأت تشهد تحولات طفيفة مثل، اقتصار التلقين أحيانا على التسجيلات الصوتية أو غياب الأبناء بسبب الهجرة أو العمل كما أشار بعض المستجوبين إلى أن إهمال هذه الطقوس أو تأجيلها لأسباب مادية أو تنظيمية صار أمرا مقبولا ضمنا ما يظهر بوضوح، دخول الطقوس في منطق التفاوض بين الثبات والتكيف.

1-2 طقوس الغسل والتكفين

الطهارة الأخيرة واستعادة القداسية.

يحتل الغسل والتكفين موقعا مركزيا في الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي باعتباره التحول الجسدي والرمزي للفقيد من فرد حي إلى "ميت شرعي". وفق ما يقره النظام الديني والاجتماعي المحلي. يعد هذا الطقس شرطا أساسيا لإدخال الميت في النظام الشعائري الجنائزي، وينظر اليه بوصفة تطهير للجسد من آثار الحياة الدنيوية استعدادا للقاء الإلهي.

في معظم مناطق تبسة. يتم الغسل في بيت الفقيد أو في مرافق خاصة بالغسل. توفرها بعض البلديات أو الجمعيات. وقد لوحظ وجود فوارق بين الفئات الإجتماعية إذ ما زالت بعض العائلات تصر على تنفيذ الغسل داخل المنزل وبأيدي الأقارب، خاصة النساء في حال وفاة امرأة، حفاظا على الخصوصية وتبعا للتقاليد. أما عائلات أخرى، فقد بدأت تعتمد على "فرق الغسل" التابعة للمساجد أو الجمعيات، وهو يعكس تحولا باتجاه مأسسة الطقس بدل حصره في الدائرة القرابية

يتبع الغسل خطوات محددة، توجيه الجثة نحو القبلة. استخدام الماء الدافئ والصابون الطيب والسدرة، ثم لف الجثمان بأقمشة بيضاء "الكفن" والتي غالبا ما تحضر مسبقا سلفا وتوضع في الكسوة الأخيرة، كما جرى تسجيل ممارسات موازية مثل رش العطر في ثنايا الكفن، ووضع المصحف أو السبحة في يد الفقيد رغم هذه الاخيرة تعد من الممارسات الشعبية الغير منصوص عليها دينيا.

يمكن قراءة هذا الطقس من خلال المقاربة الرمزية التأويلية باعتباره طقسا يعيد بناء المعنى نحو الموت ويستدعي منظومة من الرموز المتعددة: الطهارة البياض، العطر القبلة كلها تؤسس لفضاء مقدس ينفصل فيه الجسد عن "دنس" الحياة ويتأهل روحانيا للدفن. كما أن مشاركة الجماعة في الغسل تعيد تأكيد انتماء الفقيد للمجتمع القيمي حتى بعد موته.

من زاوية التحول الاجتماعي، يلاحظ أن هذا الطقس شهد أشكال جديدة من التنظيم مثل: استخدام مستلزمات جاهزة للغسل والكفن أو الدفع مقابل خدمة التكفين ما يعكس دخول منطق السوق في الطقس. دون أن يلغي معناه الرمزي. وقد لاحظ الباحث ميدانيا وجود حساسية شديدة لدى الفاعلين حول جودة الغسل والتكفين، وارتباطهما براحة الميت في العالم الآخر، مما يكشف استمرار التصور الديني المتجذر رغم التغييرات الشكلية.

3-1 خروج الجثمان من البيت لحظة عبور رمزية

يعد خروج الجثمان من البيت لحظة مفصلية في مسار الطقس الجنائزي، تتجاوز بعدها الجنازة عتبة الحياة الخاصة لتدخل فضاء وجماعيا وطقسيا علينا، ما يجعل من هذا الفعل عبورا رمزيا بامتياز. ففي المجتمع التي لا يتم إخراج الميت من منزله بطريقة عادية، بل ترافقه مجموعة من الممارسات الشعائرية التي تعكس،عمق التصورات المحلية حول الموت والانتقال.

وعند لحظة إخراج الجثمان. يتجمع الأقارب والجيران في صمت وخشوع ويقرأ القرآن بصوت مرتفع، ويردد البعض عبارات "الله أكبر" والبعض الآخر يترحمن على الفقيد وذلك بعبارات "الله يرحمه" "روحك الطيبة إلى جنات الخلد" وتمنع اشتعال النار بعد مغادرة الجنازة

وهو اعتقاد شعبي رصد في عدة أحياء من تبسة حيث يعتقد أن الروح لا تزال حاضرة في المكان وأن النار قد تزعج مسار مغادرتها ما يعكس تصورا غامضا وغير نهائي للفصل بين عالمي الأحياء والاموات.

كما يلاحظ أن لحظة رفع النعش تعد لحظة حساسة يطلب من الجميع المساعدة في حمل الجثمان تعد شرفا ووسيلة: لتخفيف ثقل الموت عن "أهل الميت". والموكب الذي يسير خلف النعش ينظم بعناية غير مكتوبة. حيث يتقدمه الرجال بينما تمكث النساء عند باب الدار غالبا في وداع أخير، يعتبر هذا المشهد طقسا عبوريا جماعيا يتم فيه تأكيد الخروج من الفضاء المنزلي (الخاص) نحو الفضاء الديني (العام). حيث تقام صلاة الجنازة.

وتعكس هذه الطقوس من لحظة إخراج الجثمان إلى لحظة الدخول إلى المسجد أو المقبرة – مرحلة دينية liminalité حيث لا يكون الميت قد دفن بعد. ولا يزال محل تفاعل رمزي وعاطفي، إنها لحظة انتقال ليس فقط للميت بل أيضا للجماعة التي تعيد إنتاج روابطها الرمزية والاجتماعية عبر المشاركة في الحدث الجمعي العابر.

4-1 صلاة الجنازة، تكثيف رمزي الجماعة والدعاء العابر للحدود.

تعد صلاة الجنازة من أبرز اللحظات الجماعية ذات الدلالة الرمزية في الطقس الجنائزي داخل المجتمع التبسي. إذ تتجاوز كونها عبادة مفروضة شرعا لتصبح فعلا جماعيا. يكثف روابط الجماعة في وجه الموت. ويعبر عن ذروة التضامن الاجتماعي.

تؤدي هذه الصلاة عادة خارج المسجد في الساحة أو أمام المقبرة. وقد لاحظنا ميدانيا في مدينة تبسة أن "موقع اقامة الصلاة" يتغير أحيانا حسب عدد الحضور وسمعة الفقيد، إذ تقام أحيانا في ساحة المسجد الكبرى إذ كان المتوفى معروفاً، وهو ما يعكس بعد اجتماعيا رمزيا مضافا للديني.

وتتميز صلاة الجنازة بغياب السجود والركوع ما يمنحها صيغة "دعائية جماعية " أكثر من كونها شعيرة بدنية. ويتجلى في ذلك تكرار الدعاء للميت بـ: "اللهم اغفر له وارحمه وعاف

واعف عنه. . . . " وتكرير التكبيرات في صيغة موحدة ومرئية جماعيا، تجعل من كل من حضر مشاركا لا في الطقس فقط بل في إعادة إدماج الفقيد رمزيا في ذاكرة الجماعة.

ومن اللافت أن بعض الأسر تبادر إلى تسجيل الصلاة صوتيا أو تصوير الجنازة. ونشرها في مجموعات عائلية أو على منصات التواصل الاجتماعي. بهدف اشتراك الغائبين. وهو ما يعكس تحولا في وسائط التعبير الطقسي، حيث باتت التكنولوجيا. تعيد تعريف الجماعة المصلية لتتجاوز الحضور الفيزيائي نحو مجتمع دعاء افتراضي هذه اللحظة من منظور أنثربولوجي. تجسد أعلى درجات الانتقال الرمزي من الحياة إلى ما بعد الحياة، والجماعة تدعو لميت لا فقط بالرحمة. بل تطلب له حياة أخرى في عالم الغيب. وهي بذلك تعيد ترتيب العلاقة بين الأحياء والأموات على أساس الدعاء الذاكرة والرحمة، كما أن المشاركة الواسعة في الصلاة تؤدي دورا في تثبيت مكانة الفقيد حيث ينظر إلى كثافة الحضور على أنها دليل محبة وكرامة ما يمنح للطقس بعدا اجتماعيا واضحا.

1-5 طقوس الدفن التشييع الأخير والعبور ونحو الأرض.

يمثل الدفن في المجتمع التبسي لحظة مركزية في الطقس الجنائزي حيث يكتمل بها فعل العبور الرمزي للميت من عالم الاحياء إلى عالم الآخر لا ينظر للدفن بوصفة مجرد إجراء مادي، بل : كممارسة طقوسية مركبة تتداخل فيها الدلالة الدينية، والاجتماعية والرمزية.

في الملاحظات الميدانية لوحظ أن المشي في الجنازة يتم في صمت وخشوع دون صراخ أو نواح وهو ما يفسره، بعض المشاركين على أنه: "هيبة الموت". ويشارك الرجال غالبا في حمل النعش بالتداول، وهو فعل يعزز الانخراط الجماعي في مسؤولية مرافقة الميت إلى مثواه ويفرض تساويا مؤقتا في لحظة العبور.

وعند الوصول إلى المقبرة تمارس سلسلة من الطقوس الدقيقة وينزل الجثمان في القبر على الجهة اليمنى مع توجيهه نحو القبلة ثم يوضع اللحد. ويرمى التراب ويردم القبر يدويا في هذه الأثناء يتناوب الحاضرون على القاء ثلاث حفنات من التراب وهم يقولون "منها خلقناكم

وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم منها تارة أخرى" هذا القول الجماعي يعد إعادة استحضار سردي للخلق والبعث في لحظة الوداع الملموسة حيث لا يعود الميت فردا بل يصبح جزءا من ذاكرة الأرض.

في بعض الحالات تلاحظ ممارسات متغير في هذه الطقوس، فقد يستعان ب: "العمال المختصين في الدفن" عوض أفراد العائلة، أو يختصر وقت التشييع بسبب ضيق الوقت أو البعد مما يدل على تحولات في ممارسات التضامن الجنائزي التقليدي ومع ذلك لا تزال بعض الطقوس تمارس بثبات: كقراءة سورة "يس " بعد الدفن مباشرة أو توزيع الماء المعدني والتمر على الزوار وهي طقوس تحافظ على أبعاد رمزية تتعلق بالبركة والصدقة الجارية.

من منظور أنثربولوجي يعد الدفن ذروة مرحلة الهامشية في نظرية طقوس العبور حيث يغادر الميت مجتمعه كفرد حي ويدمج رمزيا في مجتمع الموتى أما بالنسبية للأحياء فطقس الدفن يعيد تشكيل العلاقة مع الزمن والمكان. ويثبت الذاكرة الجماعية في المقبرة كمجال رمزي، يحتضن التاريخ العائلي والاجتماعي.

1-6 طقوس الذاكرة الجماعية وإعادة التوازن الاجتماعي

بعد انتهاء الدفن لا تتوقف الطقوس بل تبدأ مرحلة جديدة تعنى بـ "إعادة التوازن الرمزي والاجتماعي" للمجتمع المصغر الذي مسه الفقد ويتجلى ذلك في: سلسلة من الممارسات الميدانية التي تتسم بكثافة رمزية عالية في المجتمع التبسي يلاحظ أن المرحلة التي تلي الدفن مباشرة تنقسم إلى ثلاث محطات رئيسية: القراءة والضيافة العزاء المتدرج الزيارة الرمزية الميت.

1- **القراءة والضيافة:** فور العودة من المقبرة يشرع في استقبال المعزين وتوزيع القهوة والشاي والماء، يليها تقديم وجبات بسيطة أو متوسطة حسب القدرة و الظرف الاجتماعي ما يشير إلى استمرارية قيم الضيافة والتكافل تتلى سور معينة من القرآن أبرزها "يس والرحمان"، من طرف قارئ مختص أو أحد الحاضرين ويعتبر ذلك بمثابة صدقة روح، كما لوحظ أن بعض العائلات تستقدم قارئا من زاوية أو مسجد، لإضفاء طابع تقديسي على هذه اللحظة.

تعد هذه القراءات بمثابة لغة مقدسة تعيد صياغة العلاقة بين الحي والميت ضمن نظام رمزي مشبع بالدين والقادسية.

2- العزاء المتدرج: يمتد العزاء في المعتاد لثلاثة أيام وقد يختصر إلى يوم واحد في بعض الحالات (خاصة في المدن ولأسباب اقتصادية) وهو ما يظهر تحولا في نمط الطقس التقليدي. في اليوم الثاني تقدم وجبات يقال إن الميت كان يحبها، ويفسر طعم الأكل تأويليا، "إذا كان لذيذا فهو على حسب قلبه"، وإذا كان سيئا "فقلبه خايب" مما يعكس بقاء الحضور الرمزي للميت ضمن الجماعة، أما في اليوم الثالث، فيعد طبق خاص يعرف ب "القصعة الفرقة" وهو مسفوف بالفواكه يقدم مع الحليب يقدم جماعيا لتابين الفقيد والإعلان عن انتهاء العزاء ما يشير إلى العودة التدريجية إلى الحياة الاجتماعية العادية. دون نسيان الفقيد.

3- في الزيارة الرمزية للميت: في صباح اليوم الثاني، تقوم العائلة بزيارة القبر في طقس يحاكي فيه "مصابحة الميت " تعبيرا عن عبور الميت إلى العالم الآخر بكرامة. يتم تنظيف القبر ورش الماء ووضع الزهور وهي ممارسات تظهر إعادة دمج الفقيد في المجال الرمزي الجماعي كمجرد غائب ما يحقق توازنا نفسيا واجتماعيا لأهل الفقيد.

من منظور انثربولوجي تمثل هذه الممارسات مرحلة الادماج " ضمن نظرية طقوس العبور إذ يعاد إدماج الميت في عالم الأموات ويعاد وادماج الأحياء في دورة الحياة من خلال الطقوس الجماعية، كما تكشف هذه المرحلة عن تفاعل دائم بين الثابت(كالقراءة والقصعة) والمتغير(كاختصار العزلة أو الاستعانة بوسائل تواصل جديدة) ما يؤكد ان الطقوس لا تموت بل تتحول لتحافظ على وظيفتها الرمزية والاجتماعية في سياقات متغيرة.

1-7 طقوس اليوم السابع أو الأربعين تثبيت الذاكرة وترسيخ الحداد

تعد طقوس اليوم السابع وأحيانا الأربعين، من المحطات الأساسية في الممارسات الجنائزية للمجتمع التبسي، إذ تؤدي وظيفة مزدوجة: من جهة "ترسيخ ذكرى الفقيد في الذاكرة

الجماعية". ومن جهة أخرى إغلاق دورة الحزن العلني بشكل تدريجي. استعداد للعودة إلى النسق الاجتماعي المعتاد.

1- البناء الرمزي للقبر: في عدد من الحالات الميدانية رصدت عادة بناء القبر في اليوم السابع او الأربعين، لا يوم الدفن. هذا التأجيل لا يفسر فقط بأسباب علمية أو مالية بل يحمل دلالة رمزية قوية: في إقامة البناء تمثل: "تحصينا نهائيا للفقيد" داخل الذاكرة الجامعية وقد يشيد القبر من الرخام أو يزخرف بعناية في حالات معينة. للدلالة عن المكانة الاجتماعية أو المحبة الخاصة للميت. هذا السلوك يعبر عن نوع من التشيء الرمزي للذكرى حيث يصبح القبر معلما ماديا لذاكرة عاطفية وجماعية.

2- الختام الرمزي للحداد: في هذا اليوم يتم تنظيم جلسة قراءة القرآن بحضور الأقارب والجيران وتقدم أطباق خاصة يشارك فيها الجميع، ما يكرس البعد الجماعي للطقس ويعبر عن استمرار علاقات التضامن، لكن في الوقت نفسه يلاحظ في بعض الحالات تقليص هذا الطقس أو الاستغناء عنه، خاصة في الأوساط الحضارية أو بين الشباب مما يكشف عن تحول في منظومة القيم المرتبطة بالموت وتراجع بعض الطقوس التقليدية لصالح أشكال تعبير مختصرة أو رمزية.

3- المعنى الانثربولوجي: من منظور طقوس العبور يمثل اليوم السابع محطة خاتمة المرحلة "الهامشية" وبداية الادماج النهائي للميت في عالم الأسلاف كما يعيد إدماج الأحياء في الحياة الاجتماعية العادية، ومن زاوية التحول الاجتماعي تكشف هذه الطقوس عن كيفية إعادة إنتاج الطقس ضمن شروط متغيرة حيث يحتفظ بجوهره الرمزي لكنه يتأقلم مع الواقع الجديد سواء على التكاليف او الايقاع الزمني للحياة الحديثة.

وهكذا فإن الثوابت الجنائزية في المجتمع التبسي لا تمثل مجرد تكرار شكلي للطقوس بل تعبر عن استمرارية نفسية للرموز الدينية والاجتماعية التي تشكل أساس نظرة الجماعة للموت،

كما تتيح هذه الثوابت نوعا من الاستقرار الرمزي في مواجهة التحولات مما يضفي على الطقس الجنائزي طابعا هجينا يجمع بين الاستمرار والتجدد.

2-التحولات في الطقوس الجنائزية نحو إعادة تشكيل الرموز والممارسات:

إذا كانت الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي تحتفظ بثوابت دينية وثقافية تعيد إنتاج التصورات التقليدية حول الموت، فإنها في الوقت نفسه تشهد تحولات ملموسة تعكس تغييرات أعمق على مستوى البنية الاجتماعية القيم وتمثلات الأفراد للجسد والموت، إن هذه التحولات لا تعني القطيعة مع الموروث بل تعبر من " إعادة تشكيل الطقس" ليواكب التغيرات الاقتصادية، والتقنية، والاجتماعية التي عرفها المجتمع المحلي، مع محاولة الحفاظ على الوظائف الرمزية الأساسية للممارسة الطقسية.

وتتنوع مظاهر التحول بين ما هر شكلي (مثل اختصار فترات العزاء أو تغيير اماكن الدفن)، وما هو رمزي وعميق (مثل تراجع بعض الطقوس المترابطة بالميت ک "زيارة الميت" أو تأويل جديد لعلامات الرضا والغضب في طعم الطعام)

هذا ما يجعل التحليل الأنثربولوجي للطقوس الجنائزية يتجاوز حدود السرد الوصفي نحو فهم دينامية التحول الثقافي بوصفه مرآة العلاقات السلطة الفردانية، وانتقال المجتمع من نظام تضامني تقليدي إلى أنماط أكثر عقلانية أو وظيفية.

2-1 اختصار فترة العزاء:

مع التحولات الاجتماعية والثقافية التي يشهدها المجتمع التبسي، تبرز ملامح التغير في ممارسات العزاء، خاصة فيما يتعلق باختصار فترة العزاء مقارنة بما كانت عليه في السابق، في الماضي كان العزاء يمتد لعدة أيام، حيث كانت الجيران والأقارب يتجمعون في بيت المتوفى لتقديم العزاء وكان هذا يشمل تقديم الوجبات، إقامة الصلوات، وقيام بعض الطقوس الرمزية الخاصة. المقابلات الميدانية بينت لنا بوضوح هذا التحول، حيث أشارت إحدى المخبرات (مقابلة رقم 2) إلى أن "في الماضي كان العزاء ديمته لعدة أيام، لكن اليوم أصبح الناس

يفضلون اختصارها إلى يومين أو حتى يوم واحد بسبب ضغوطات الحياة اليومية، الجميع مشغول ولا يوجه وقت للتجمعات الطويلة".

تعد هذه الانتصارات نتيجة المجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصادية مثل،

- ✓ **ضغوط الحياة الحديثة:** حيث يوجه الأفراد تحديات في بعض التوفيقات بين التزامات العمل والحياة الاجتماعية.
- ✓ **الاعتماد على مؤسسات الجنائز:** التي توفر خدمات جاهزة تسهم في اختصار الوقت والجهد مما يقلل من حاجة العائلية لإقامة عزاء طويل.

كما يلاحظ (المخبر رقم 1)، وهو شخص مسن أن هناك تغيرات أخرى تتعلق بالمظاهر الاجتماعية للحداد حيث قال: "أصبح البعض يكتفي بتوزيع الطعام أو اقامة والولائم بسيطة بينما كان العزاء في السابق يستمر لمدة أيام مع تقديم الطعام والشراب للزوار طوال هاته المدة".

النتيجة: يمكن أن تعتبر أن فترة اختصار العزاء ليس مجرد تحول في الممارسات التقليدية بل هو انعكاس للتغيرات الاجتماعية التي يعكسها المجتمع التبسي في العصر الحديث، هذه الحوليات تدل على تأثير العوامل الاقتصادية، مثل ضيق الوقت، وتزايد التكلفة إلى جانب التأثيرات الثقافية التي تحاول تبسيط الإجراءات المرتبطة بالطقوس الجنائزية.

2-2 ظهور الخدمات الجنائزية والمؤسسات الخاصة:

شهد المجتمع التبسي في السنوات الاخيرة بروز نمط جديد من تدبير الطقوس الجنائزية، يمثل في الاعتماد على مؤسسات خاصة تعنى بالخدمات الجنائزية وهو ما يمثل تحولا هاما عن النموذج لتقليدي الذي كان يقوم على التكافل الاجتماعي والعائلي في تنظيم مراسم الدفن والعزاء.

في السابق كانت العائلات والجيران يتكفلون بجميع الجوانب المرتبطة بالجنازة من: **تغسيل الميت تكفينه، تنظيم موكب الدفن، تقديم الطعام للمعزين.** أما اليوم أصبح من الشائع اللجوء إلى مؤسسات خاصة توفر "حزمة" من الخدمات تشتمل:

- **النقل الجنائزي.**
- **توفير الكفن واللوازم الشرعية.**
- **الاشراف على الغسل الشرعي في المستشفيات أو المرافق المخصصة.**
- **تنظيم الغراء وتوفير مستلزمات الضيافة.**
- **بل وحتى الإعلان عن الوفاة عبر وسائل التواصل الى التواصل الاجتماعي.**

وقد عبرت إحدى المخبرات (المقابلة رقم 4) امرأة في الستينيات من عمرها عن ذلك بقولها: "زمان كنا نتعاونوا، كل أحد يحضر معه شيء حتى الطناجير يحضرونهم الجيران، والكفن يشتريه أبناء المرحوم، اليوم كل شئ يصنعوه المؤسسات، يكلمونهم ويأتون يعملون كل شي..." هذا التحول يعكس نزعة نحو التنظيم والتخصيص في تدبير الطقوس الجنائزية، كما يعكس أيضا:

ضعف شبكات التضامن التقليدية: في بعض الأحياة الحضارية.

تزايد الاعتماد على الخدمات المدفوعة: بدل المبادرة العائلية.

كما يشير بعض المشاركين في المقابلات إلى أن هذه المؤسسات تسهم أحيانا في زيادة التكاليف أو في خلق نوع من " الاستعراض الاجتماعي" حيث يقاس "كرم العائلة" أو "مكانة" الفقيد بمدى فخامة التنظيم.

التحليل الأنثربولوجي: لهذا التحول يكشف عن إعادة تشكيل لطقوس الجنازة، حيث أصبحت خاضعة الأليات السوق، وأقل ارتباطا بالموروث الجماعي القادم على التعاون، مما يشير إلى تحول في القيم والممارسات داخل المجتمع التبسي.

2-3 استخدام وسائل التواصل الاجتماعي:

أدى الانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي في المجتمع التبسي، كالفايسبوك والواتساب والإنستغرام، إحداث تحولات نوعية في كيفية إعلان الوفاة وتنظيم الطقوس المرتبطة بها، فقد أصبحت هذه الوسائط أداة مركزية في نشر خبر الوفاة، والدعوة إلى حضور الجنازة، بل وأحيانا في مشاركة صور او تدوينات تتعلق بالفقيد، مما أحدث نقلة غير مسبوقة في علاقة الافراد بالموت ومجاله الرمزي.

في السابق كان الاعلان من الوفاة يتم شفويا عن شبكات الجوار أو بواسطة إمام مسجد، أو من خلال "المنادي" الشعبي (القوال)، أما اليوم في مجرد حدوث الوفاة تبادر العائلة أو الأقارب بنشر اعلان وفاة مصمم رقميا يتضمن:

- **اسم الفقيه وعمره.**
- **توقيت صلاة الجنازة ومكان الدفن.**
- **عبارات دينية تقليدية، أو مقتبسة من القرآن.**

وأشارت إحدى (المخبرات رقم 5) إلى هذا التحول بقولها: " لم يبقى أحد يسمع بالموت من المسجد، أصبحت الناس تعرف من الفايسبوك، فابني كتب منشور فيه صورة لأبيه وكتب عليها انتقل الى رحمة الله، وبعدها مباشرة راود الناس بالاتصال والمجيء للعزاء".

وقد لوحظ ان بعض الشباب يقومون أيضا بنشر "قصص" " Stories" أو صور الفقيد مع تعليقات وجدانية، مما يعيد امتدادا لحضور الميت في القضاء الرقمي.

لكن هذا التحول لا يخلو من "تأويلات متباينة داخل المجتمع" فبينما يرى البعض أن هذه الوسائط تسهل تبليغ الناس وتحفز على التضامن يرى آخرون أنها:" تنزع القدسية عن الموت " وتحول لحظة الحزن إلى مناسبة للنشر والمشاركة العاطفية العامة، مما قد يفقد الطقوس الجنائزية شيئا مهما من عمقها الرمزي والوجداني.

انثربولوجيا، يعكس هذا التحول تفاعل الطقوس التقليدية مع أشكال جديدة من التعبير والتمثل حول الموت ويعيد رسم حدود الفضاء الجنائزي بين الواقعي والافتراضي، بين الخاص والجماعي.

2-4 تراجع بعض الطقوس الرمزية (مثل زيارة الميت)

عرف المجتمع التبسي تراجعا ملحوظا في ممارسة بعض الطقوس الرمزية المرتبطة بالجنائز على رأسها زيارة الميت في القبر صباح اليوم الثاني كانت هذه الزيارات تجسد وفقا لتصور شعبي **توديع الميت وعدم نسيانه** وترافق غالبا بتقديم القهوة والتمر وغيرها للزائرين غير أن هذه العادة بدأت تختفي تدريجيا، خاصة في الاحياء الجديدة بسبب ضيق الوقت تغير أنماط العيش وانشغال الأفراد.

كما تراجعت طقوس رمزية أخرى مثل: **طبخ أكلات كان يحبها الميت** في اليوم الثاني أو **تأجيل الطبخ داخل البيت** يوم الدفن وقد فسر بعض المخبرين هذا التراجع بأنه ناتج عن "تبدل قلوب" أو الناس لم يعد لديها صبر.

أنثربولوجيا: يشير هذا التراجع إلى تحول الوثيقة الرمزية للطقوس، حيث بدا الجانب العملي يمن على الطقس الرمزي، ما يعكس اعادة ترتيب أولويات الجماعة وتغير نظرتها إلى الموت و طقوسه.

2-5 تأويلات جديدة للعلامات الرمزية ودلالات الرضا/ الغضب:

الممارسات اللافتة في طقوس الجنائز بتبسة بروز تأويلات جديدة لمعاني "الرضا" و"الغضب" الميت. فمثلا يربط **طعم الاكل** في اليوم الثاني من العزاء برضا الميت، "إذ كان لذيذ " يقولون" الميت جازلوا" وإذا كان مطعمه سيئا، يقولون " جات على قلبوا"

أصبح يفسر ظهور عراقيل أو مشاكل بعد الدفن يكون الميت "ما رضاش" على ما وقع، أو "زعل" من شيء في الجنازة.

تظهر هذه التأويلات استمرار حضور البعد الرمزي والشعوري للموت في الذهنية الجماعية لكن في قوالب جديدة تعبر عن محاولة التوفيق بين الاعتقاد الشعبي والتغييرات المعاصرة.

6-2 قراءة تحليلية في مضمون المقابلات

اظهرت المقابلات الميدانية التي أجريت مع أفراد من شرائح عمرية واجتماعية مختلفة بمدينة تبسة، حضورا لافتا لثنائية "الوفاء للتقاليد" من جهة و"الانفتاح على متغيرات العصر" من جهة أخرى فقد عرفت فئة كبار السن عن حنين الى الطقوس التقليدية التي كانت تتم بالبساطة والتضامن والبعد الديني الصارم، حيث كان الاحتضار يتم في المنزل، وتغسل الجثامين أمام الجماعة، وتقام الولائم وفق معاير روحية رمزية في حين أظهرت الفئات المتوسطة والشابة نوعا من القبول بالتغيرات الخاصة مثل استخدام خدمات الدفن الخاصة، وتصوير الجنازات، او اختصار فترات العزاء.

تشير هذه المعطيات إلى أن الطقوس لم تنقطع من جذورها لكنها دخلت في مسار إعادة تشكيل يعكس تحولات المجتمع التبسي في بيته الاقتصادية، وأنماطه التواصلية، وتمثله للموت، بل إن بعض الممارسات الجديدة، مثل ربط الطعام برضا أو تمثيل الميت كـ"عريس للآخر".

تظهر استمرار البعد الرمزي والاعتقادي وإنما بصيغ مستحدثة كما بدا أن الضغوطات الاجتماعية والتكلفة الاقتصادية أصبحت عوامل مؤثرة في تبني بعض التغييرات دون أن يعد ذلك قطيعة تامة مع التقليد.

يتضح من خلال هذا الطقوس الجنائزية انها تعد مجالا ديناميكيا، تتفاعل فيه "البنية الرمزية" مع الواقع المتحول ،وأن التحليل الأنتربولوجي لهذا الجمال يكشف عن قدرة المجتمع التبسي على إعادة إنتاج الرموز والممارسات وفق مقتضيات الزمن دون أن يتخلى من ثوابته العميقة.

خلاصة

أظهر الفصل الرابع أن الطقوس الجنائزية في المجمع التبسي تتموقع بين ثنائية الثبات والتحول، حيث لا تزال تحتفظ بجملة من الممارسات الراسخة التي تعيد إنتاج البنية الرمزية والاجتماعية التقليدية للجماعة، مثل طقوس الاحتضار، التغسيل، التكفين، الصلاة، الدفن، وتقديم قصعة الفرقة فضلا عن الطقوس المرتبطة باليوم السابع واليوم الأربعين، بما تحمله من دلالات روحانية ودينية تعزز الانتماء وتعيد تماسك الجماعة.

في المقابل كشفت الملاحظات الميدانية عن تحولات مست أنماط الممارسات والتمثل، من خلال اختصار بعض الطقوس وظهور خدمات مؤسسية "جمعيات" جنائزية والانتقال جزء من التعبير الطقسي إلى الفضاء الرقمي عبر وسائل التواصل الاجتماعي، ما أحدث انزياحات في التفاعل مع الموت، كما لاحظنا تراجعا في بعض الرموز الطقسية مثل: زيارة القبر وظهور تأويلات جديدة تتعلق بطعم الطعام، سلوك الزائرين، أو صمت الحيوان، ما يدل على اعادة تشفير رمزي لبعض العلامات القديمة ضمن أنماط ثقافية معاصرة.

ويمكن القول إن هذه التحولات لا تعني القطيعة مع التقليد، بل تعكس قدرة المجتمع التبسي على إعادة تشكيل طقوسه بما يتلاءم مع تحولات السياق، مما يؤكد الطابع الديناميكي للطقوس الجنائزية كمجال حي للتفاوض ض بين الثابت والمتحول بين القدسي واليومي، بين الجماعي والفردي.


خـاتمـــــة

تعد الطقوس الجنائزية من أبرز الممارسات الاجتماعية التي تبلور علاقة الإنسان بالموت، لا باعتباره نهاية بيولوجية فحسب، بل كواقعة وجودية تستدعي استنفار الرموز، واستحضار المعاني ، وتنظيم العلاقات ضمن إطار ثقافي مشحون بالدلالة ، وانطلاقا من هذا التصور، سعت هذه المذكرة إلى مقاربة الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي،من خلال استقصاء أبعادها الثابتة وتحولاتها في ضوء المعاينة الميدانية والمقاربة الأنثروبولوجية .

وقد أظهرت الدراسة أن الطقس الجنائزي في هذا السياق ليس مجرد أداء ديني تقليدي، بل هو بناء رمزي واجتماعي مركب، يعكس رؤية الجماعة للموت، ويعتبر أداة لإعادة انتاج التماسك والتضامن الاجتماعي، كما يشكل لحظة فارقة لا براز المكانة الاجتماعية للفرد المتوفى وأسرته.

وتمثلت أبرز مظاهر الثبات في استمرار طقوس مثل: تلقين الشهادة، تغسيل الميت، الصلاة ، الدفن ، الولائم "قصعة الفرقة" ،والزيارات في اليوم السابع أو الأربعين ، هي طقوس لا تزال تمارس وفق نظام محكم وتأدى بروح جماعية.

في المقابل رصدنا مظاهر التحول في عدة مستويات منها : اختصار فترة العزاء و ظهور موسسات خدمات جنائزية خاصة، وتزايد الاعتماد على وسائل التواصل الاجتماعي للاعلان عن الوفاة ، وتراجع بعض الطقوس الرمزية مثل زيارة الميت أو بناء القبور في زمن محدد، فضلا عن بروز تأويلات جديدة للعلامات الطقسية تعكس تحول البنية الذهنية للفرد التبسي حيال الموت ، وما يحيط به من معان.

وقد أظهر التحليل الميداني أن هذه التحولات لا تنفي استمرارية الطقس بل تعيد تشكيله وفق منطق الانتقاء والمرونة ، حيث تتجاوز أنماط من الوفاء للتقاليد مع تغييرات حديثة تحاول التكيف مع التحولات الاقتصادية، التقنية، والاجتماعية، فالفرد التبسي أصبح يفاوض الرمزي والديني ضمن شروط معيشية جديدة ما يجعل الطقوس الجنائزية مرآة دقيقة لتحول المجتمع التبسي في العمق.

ان هذه الدراسة تبرز في الختام أن الموت ليس فقط موضوعا دينيا أو بيولوجيا بل هو مجال خصب للتحليل الانتروبولوجي، بوصفة يظهر بشكل كثيف العلاقة بين المقدس، الهوية ، السلطة، والذاكرة الجماعية، ويمثل الطقس الجنائزى أحد أ برز تعبيرات هذه العلاقة التي لا تزال رغم كل التحولات تحتفظ بقدرتها على اعادة خلق المعنى وتثبيت الانتماء.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أوّلًا: الكتب باللغة العربية

1. ابن منظور، لسان العرب، ج 15، بيروت، دار صادر، دون تاريخ، مادة "الطقس".
2. أرنولد فان جينيب، طقوس العبور، ترجمة: زكريا فؤاد، بيروت، دار الكتاب العربي، 1909.
3. أرنولد فان جينيب، طقوس العبور، ترجمة: محمد الطاهر المنصوري، تونس، دار محمد علي للنشر، 2002.
4. برونيلاف مالينوفسكي، الحياة البدائية وقوانينها، ترجمة: عبد الجبار عبد الله، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1951.
5. بورد ستيفان وجان بيرويير، دليل البحث الميداني، ترجمة: عبد الوهاب العلمي، الدار البيضاء، دار الأمان، 2012.
6. فيكتور تورنر، من الطقوس إلى المسرح: البنى الرمزية في المجتمع، ترجمة: عبد الله الغذامي، بيروت، المركز الثقافي العربي، 2005.
7. فيكتور تورنر، الطريق إلى الحدود: الطقوس والهامشية، ترجمة: عبد الله الغذامي، بيروت، المركز الثقافي العربي، 1982.
8. مالكوم، مدخل إلى البحث الأنثروبولوجي، ترجمة: محمد الجوهري، القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2013.
9. كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة: فالح عبد الجبار، بيروت، المنظمة العربية للترجمة، 2009.
10. ريمون كيفي ولوك فان كامبنهودت، دليل البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة: محمد الطاهر، بيروت، دار الفارابي، 2008.

11. إيميل دوركايم، الأشكال الأولية للحياة الدينية، ترجمة: خليل أحمد خليل، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2008.

ثانيا: المقالات العلمية والأطروحات

1. بوشيخي عبد الكريم، "الطقوس الجنائزية في منطقة الشرق الجزائري: مقارنة أنثروبولوجية"، المجلة الدولية للدراسات الإنسانية والاجتماعية، عدد 5، 2020.
2. بوقفة صبرية، "الطقوس والممارسات العقائدية في المجتمع الشعبي بولاية تبسة ودلالتها الاجتماعية"، مجلة السياق، مج 2، عدد 1، 2017.
3. جامعة باتنة، قسم الأنثروبولوجيا، الطقوس الدينية في منطقة الأوراس، مذكرة ماجستير، 2018.
4. رحماني نعمة، "مقاربة أنثروبولوجية رمزية للوفاة وطقوس الاحتضار في الخيال الشعبي – مدينة تلمسان أنموذجا"، مجلة طبنة للدراسات العلمية الأكاديمية، مج 4، عدد 7، 2004.
5. رقاد الجيلالي، "الطقوس الجنائزية بين سلطة التقاليد المحلية والتحولات المعاصرة"، مجلة النصر، مج 4، عدد 7، 2018.
6. سعيد بن عبد الله، "المعالم الأثرية والتاريخية بمدينة تبسة – دراسة تاريخية وصفية"، مجلة التراث والآثار، عدد 12، 2015.
7. عبد الحميد بورابو، "تمثيلات الموت في الثقافة الشعبية الجزائرية"، مجلة الثقافة الشعبية، 2010.
8. عريس نصر الدين، "الطقوس الجنائزية كآلية للتفريغ النفسي – ولاية تلمسان أنموذجًا"، أنثروبولوجيا، مج 2، عدد 24، 2010.

9. مصطفى عبد الواحد، "الطقوس الدينية في المجتمع المغاربي: مقاربة أنثروبولوجية"، مجلة الفكر العربي، عدد 19، 2016.
10. منير الهادي، "التحولات الاجتماعية والطقوس الجنائزية: مقاربة سوسيولوجية"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، عدد 18، 2021.

ثالثا: الكتب باللغة الأجنبية (فرنسية)

1. Arnold Van Gennep, Les Rites de Passage, Paris, Émile Nourry, 1909.
2. Alain Touraine, La sociologie de l'action, Paris, Seuil, 1965.
3. Émile Durkheim, Les formes élémentaires de la vie religieuse, Paris, Alcan, 1912.
4. Bronislaw Malinowski, Les rites de passage dans les sociétés traditionnelles, Études d'anthropologie culturelle, Vol. 7, 1974.
5. Georges Balandier, Anthropologie politique, Paris, PUF, 1967.
6. Victor Turner, Le Processus rituel: Structure et anti-structure, Paris, Dunod, 1969.
7. Claude Lévi-Strauss, La pensée sauvage, Paris, Plon, 1962.
8. Claude Lévi-Strauss, La pensée mythique, Paris, Plon, 1982.

المواقع:

المتحف العمومي الوطني – تبسة – "المعالم الأثرية"، تاريخ الاطلاع: 2025/04/17، على الرابط:

http://www.museepublicnationaltebessa.dz

ولاية تبسة، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، تاريخ الاطلاع: 2025/04/17، على الرابط:

https://ar.wikipedia.org/wiki/ولاية_تبسة

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

شكر وعرفان	
إهـــداء	
مقـدمـــة	أ
الفصل الأول: المقارنة المفاهيمية و المنهجية	
1-التعريف بالموضوع:	4
2-دوافع اختبار الموضوع:	4
3-الدراسات السابقة:	5
4-اشكالية الموضوع.	7
5-أهداف الدراسة	9
6-أهمية الدراسة	9
7-معوقات الدراسة	11
8-تحديد المفاهيمي:	12
9-فضاءات الدراسة	16
10-المنهج الوصفي التحليلي	19
11-الإجراءات المنهجية	20
12-أدوات جمع البيانات	21
الفصل الثاني: المقارنة النظرية للطقوس الجنائزية بين الثبات والتحول	
في المجتمع التبسي	
1-المقاربة الوظيفية للطقوس الجنائزية:	25
2-المقاربة التأويلية الرمزية للطقوس العشائرية	27
3-مقاربة طقوس العبور الجنائزية	30
4-مقاربة التحول الاجتماعي للطقوس الجنائزية	34
خلاصة:	37

الفصل الثالث: الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي دراسة أنثربولوجية في أدماء الممارسة والتحول	
تمهيد:	39
1-لحظة الوفاة البداية الرمزية للطقس الجنائزي	39
2-الاستعدادات الجنائزية الأولى بين التقليد والضرورة الاجتماعية	42
3-مراسم القبل والتكفين الطقوس الأولى للفصل عن عالم الأحياء	45
5-مراسيم الدفن لحظة الوداع الأخير	49
6-الولائم الجنائزية بين الاستمرارية الرمزية والتحول الاجتماعي	51
7-استمرارية الطقوس ونحوها، ملاحظات ميدانية ختامية.	54
خلاصة	56
الفصل الرابع : الثابت والمتحول في الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي	
مقدمة الفصل:	58
1-الثوابت في الطقوس الجنائزية في المجتمع التبسي.	59
1-1 طقوس الاحتضار وتلقين الشهادة	59
1-2 طقوس الغسل والتكفين	60
1-3خروج الجثمان من البيت لحظة عبور رمزية	61
1-4صلاة الجنازة، تكثيف رمزي الجماعة والدعاء العابر للحدود.	62
1-5طقوس الدفن التشييع الأخير والعبور ونحو الأرض.	63
1-6طقوس الذاكرة الجماعية وإعادة التوازن الاجتماعي	64
1-7 طقوس اليوم السابع أو الأربعين تثبيت الذاكرة وترسيخ الحداد	65
2-التحولات في الطقوس الجنائزية نحو إعادة تشكيل الرموز والممارسات.	67
2-1 اختصار فترة العزاء	67
2-2 ظهور الخدمات الجنائزية والمؤسسات الخاصة.	68

2-3 استخدام وسائل التواصل الاجتماعي	70
2-4 تراجع بعض الطقوس الرمزية (مثل زيارة الميت)	71
2-5 تأويلات جديدة للعلامات الرمزية ودلالات الرضا/ الغضب.	71
2-6 قراءة تحليلية في مضمون المقابلات	72
خلاصة	73
خـاتمـــــــة	74
قائمة المصادر والمراجع	78
فهرس المحتويات	
ملخص	

الملاحق

دليل المقابلة:

المحور الأول: البيانات الشخصية

الجنس: ذكـر □ أنثى □

السن: .....

المستوى التعليمي:

لا يقرأ ولا يكتب □ ابتدائي □ متوسط □ ثانوي □ جامعي □ تكوين مهني □

الوضع العائلي: أعزب □ متزوج □ أرمل □ مطلق □

المستوى المعيشي: منخفض □ متوسط □ عالي □

المهنة: .....

الأصول الجغرافية: .....

المحور الثاني: مظاهر الثبات في الطقوس الجنائزية

حسب رأيك، ما هي الطقوس الجنائزية التي بقت ثابتة رغم مرور الزمن؟

.....

.....

.....

.....

..

ما الطقس الذي يباشر به أهل الفقيد عند الوفاة؟

.....

.....

.....

.....

..

ما الطقوس التي تعتمدونها لتجهيز المتوفي في المجتمع التبسي؟

.....

.....

.....

.....

..

ما الطريقة المتبعة في التكفين ومن يشرف عليها عادة؟

.....

.....

.....

.....

..

كيف تقام مراسم وطقوس صلاة الجنازة ومن يتولى تنظيمه؟

.....

.....

.....

.....

..

ما معنى وسبب الولائم تحضر عادة في عشاء الدفن؟

.....

.....

.....

.....

..

ما الطقوس المرتبطة بزيارة القبر بعد الدفن؟

.....

.....

.....

.....

..

ما الأدوار المحددة لكل من الرجل والمرأة من العملية الطقوسية الجزائرية؟

.....

.....

.....

.....

..

المحور الثالث: مظاهر التغيير في الطقوس الجنائزية.

هل لاحظت تغيرات في طريقة استقبال خبر الوفاة و تقبله مقارنة بالسابق؟

.....

.....

.....

.....

..

ما التأثير الذي تركته وسائل التواصل الاجتماعي على إعلان الوفاة و المشاركة ؟

.....

.....

.....

.....

..

أثر ظهور الخدمات الجنائزية الخاصة على العادات القديمة ؟

.....

.....

.....

.....

..

حسب رايك ،هل تغيرت الطقوس الجنائزية ؟

.....

.....

.....

.....

..

ما الذي تغير في الأطعمة المقدمة أثناء الجنائز و ما تفسيرك لها ؟

.....

.....

.....

.....

..

حسب رأيك، هل تختلف ممارسة الطقوس بين العائلات البسيطة و العائلات الميسورة ؟

.....

.....

.....

.....

..

ما هي الطقوس التي بدأ الناس يتخلون عنها مؤخرا؟

.....

.....

.....

.....

..

حسب رايك، ما هي الرموز أو الممارسات التي اكتسبت معاني جديدة اليوم؟

.....

.....

.....

.....

ملخص:

أبر تهدف هذه الدراسة إلى مقاربة الطقوس الجنائزية في المجتمع النبي من منظور انتربولوجي، بوصفها ممارسات رمزية وثقافية تعكس تصور الجماعة للموت، وتكشف من أبناء تنظيم العلاقات الاجتماعية في لحظة حرجة تمس البنية العائلية والدينية والمجتمعية. وقد تم اعتماد المنهج الكيفي القائم على الملاحظة بالمعايشة والمقابلة: الفاعلين الاجتماعيين، في محاولة لفهم كيفية استمرار بعض الطقوس وتحول بعضها الآخر في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تشهدها المدينة.

انقسمت الدراسة إلى 4 فصول رئيسة. تتناول الأول المقاربة المفاهيمية والمنهجية والثاني أبرز المقاربات النظرية المفسرة للطقوس بينما ركز الفصل الثالث على تحليل الممارسة الطقسية، كما تتجلى في الواقع الميداني. من لحظة الاحتضار إلى ما بعد الدفن وصولا إلى الولائم الجنائزية ودلالتها الرمزية والاجتماعية، أما الفصل الرابع فكان مخصصا لتميز ما هو ثابت في هذه الطقوس، من ممارسات راسخة تحيه إنتاج الانتهاء الجماعي، وما هو متحول يعكس قابلية المجتمع الإعادة تشكيل الرمزي والديني وفق شروط معيشية جديدة

وقد خلقت الدراسة إلى أن الطقس الجنائزي في المجتمع التي لا يزال يحتفظ بجوهره التقليدي في العديد من جوانبه. إلا أنه عرف في السنوات الاخيرة تحولات توحيه دقس ات دلالته وممارسته واشكال تمثله نتيجة تداخل عوامل متعددة من بينها التحديث. تغير نمط الحياة وظهور فاعليين جدد في تنظيم الموت. وهو ما يعكس أن الطقوس حتى وإن بدت محافظة تظل فضاء دنيا ميكيا الاعادة انتاج المعنى والت حول الهوية والانتماء.

Abstract :

This study aims to explore funeral rituals in The Tebession Society from an anthropologicol perspective viewing them as Symbolic and Cultural practices that reflect the Communitys pre percepation of death and neveal the pattinson patterns of org anizing social relations during a Critical moment that affects familial, religious, and societal structures. A qualitative method ethod dogy was adopted, based en participant observation and open interviews with social actors, inan attempt to understand how so (some rituals persist While others und ergo transformation anid the ongoing social, Cultured and economic changes inthe City.

The Study is Structured into four mam chapters. The first presents the Conceptual and methodological framework. The Second escamines the main theoretical approachesto rituals (functionalism, Symbolic interpretation, rites of passage and social transformation). The Third chapter analyzes the ritual practices as they appear in the filed from the morment of dying to post-bwrial Customs, including fumeral feasts and their symbolic and social meanings The fourth chaftor distinguishes between what remaim, Constant in these ritual deep-rosteb practices that repes neproduce collective belonging and what is changing, changing, reflecting the Community's Capacity to reshape the Symbolic and religious. New lilling Conditions. In response to

The Stinaly Concludes that funeral rituals in the Tebessian Society Still retain many of their in their traditional, elements. Howeve in recent years, they have underogone significant transformati affecting their meaning, practices ant representations. These changes are the result of Various factors including modernizatio lifestyle Shifts, and the emergence of new actors in the organizatio of death. This reveals that rituals, even when they appear Conservativ remain dynamic spaces for the reproduction of meaning and negotiation of identity and belonging.

.